الفصل الثالث
الأجناس البشرية

أسطورة أصل البشر

زعم مؤلفو الأسفار اليهوديَّة أنَّ جميع البشر الأحياء اليوم يرجع نسبهم إلى أبناء سيِّدنا نوح عليه السلام الثلاثة:

سام الأكبر، ويافث الأوسط، وحام الأصغر[1].

ولا نجد فى علم الأجناس Anthropologie ما يسمى بالجنس السامى، أو الجنس اليافثى، أو الجنس الحامى، وما الأجناس البشرية فى الحقيقة إلاَّ مجموعات بشريَّة متفقة نسبيا فى الصفات الطبيعيَّة الظاهرة؛ ويصَنِّف العلماء السُّلالات البشرية بناء على:

١ ـ المظاهر المورفولوجية أو الوصفية Morphologique.

٢ ـ المظاهر القياسية أو الأنتروبومترية Anthropométrique.

كلون البشرة، ولون العينين، وطول القامة، وحجم الجمجمة، ولون الشعر ونعومته، وفصائل الدم.....[2].

ويقسِّم علماء الأنتروبولجيا الأجناس البشرية ثلاثة أقسام كبيرة بناء على تلك الصفات الظاهرة، ويوزعونها على خريطة العالم كالآتى:

---

(١) تكوين ١٠: ١ ـ ٣٢.

(٢) السلالات البشرية ٣٧ ـ ٥٩.

أ ـ المجموعة المغولية: وتوجد فى معظم آسيا، وفى بعض مناطق فى قارَّتى أمريكا، وفى قسم من مدغشقر.

ب ـ المجموعة القوقازية: فى كامل أوربا، وفى قسم من آسيا، وفى شمالى أفريقية وجنوبيها، بالإضافة إلى مناطق واسعة فى أمريكا.

جـ ـ المجموعة الزَّنجية: فى أفريقية، وفى قسم من مدغشقر، وفى منطقة محدودة من القارَّة الأمريكيَّة.

ومن المؤكَّد أنَّ هناك مجموعات فرعية أو إقليمية أخرى ـ ضمن هذه الأنواع الرئيسة ـ تحمل خاصيَّات وسيطة مميَّزة، وتشترك فى عدد من الصفات مع السلالات الجغرافية الثلاث الكبرى كالألبانيين، والطوارق، والهنود، والسامبورو، والبوشمان، والإسكيمو، والتيبتيين، والبابوازيين.... [1].

وقد أوضح جوان كوماس خرافة الجنس النقى، وفنَّد مزاعم القائلين بها، وكذَّب كلَّ ما يقال عن الجنس الآرى، أو الهنغارى، أو الكلتى، أو الجرمانى، أو الأنجلوسكسونى، أو النوردى، أو اللاتينى... وقال " إنَّ اصطلاح الجنس يستعمل دون أىِّ اكتراث كاصطلاح معادل للفظى " اللغة " و " الأمَّة "[2].

ومن العجيب أنْ يتحدَّث اليهود عن احتفاظ الإسرائيليين فى مصر بأنسابهم نقيَّة، مع أنَّ جميع الشواهد تؤكِّد أنَّ السبعين نفسًا[3] من بيت يعقوب عليه السلام الَّذين نزلوا مصرًا قد ذابوا فى مجتمعها تماما، كما ذابت الجماعات الخارجة من مصر مع سيِّدنا موسى عليه السلام فى المجتمع الكنعانى فى الشام وفلسطين؛ ولسنا فى حاجة إلى الرجوع إلى كتب التاريخ لإثبات هذه الحقيقة، بل إنَّ الأسفار اليهودية نفسها تثبت ذلك بأوضح دليل؛ فمثلاً:

✿ سيدنا يوسف عليه السلام قد تزوج من امرأة مصرية هى " أسنات بنت فوطيفارع "ـ

---

(١) السلالات البشرية ٩٧ ـ ١٢٦، وأطلس العالم ١٠١.

(٢) خرافات عن الأجناس ٨٥.

(٣) تكوين ٤٦ : ٢٧.

كاهن أون ـ وأنجب منها ولديه مَنَسَّى، وأفْرَائِيم، وهما أَبَوَا سبطين رئيسين من الأسباط اليهودية[1].

✪ وجاء فى الأسفار أيضًا: (١٠ وَحَدَثَ أَنْ خَرَجَ ابْنُ امْرَأَةٍ إِسْرائِيلِيَّةٍ، أَبُوهُ رَجُلٌ مِصْرِى، وَسَطَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَتَخَاصَمَ فِى الْمُخَيَّمِ مَعَ رَجُلٍ إِسْرَائِيلِى. ١١ فَجَدَّفَ ابْنُ الإِسْرَائِيلِيَّةِ، الْمُدْعُوَّةِ شَلُومِيَةَ بِنْتَ دِبْرِى، مِنْ سِبْطِ دَانٍ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ وَسَبَّهُ،)[2].

ويقول الطبرى: " إنَّ الله أخرج كل ولد زنا فى القبط من بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل، وأخرج كل ولد زنا من بنى إسرائيل من القبط إلى القبط، حتَّى أتوا آباءهم "[3].

لاحظ أنَّ النص الأول يؤكِّد زواج الإسرائيليين من مصريَّات.

والنص الثانى يؤكِّد زواج الإسرائيليات من مصريين.

والنص الثالث يثبت شيوع الاختلاط بين القبط والإسرائيليين، فى علاقات شرعية، أو غير شرعية.

✪ وكانت المعموديَّة واحدة من الطقوس والعادات الدينيَّة اليهودية الَّتى تثبت اختلاط الأجناس باليهود؛ فلو أراد شخص أنْ يعتنق اليهوديَّة كان يُلْزَمُ بفعل ثلاثة أشياء:

الختان، وتقديم ذبيحة، والعماد؛ فالعماد طريقة اتَّبعها اليهود فى عماد الدُّخلاء أى: المهتدين من الأمم الأخرى[4].

وفى الأسفار نجد أخبارًا كثيرة عن زيجات متعدِّدة بين الإسرائيليين وغيرهم، فمن أمثلة ذلك:

---

(١) تكوين ٤٦: ٢٠.

(٢) لاويين ٢٤: ١٠.

(٣) تاريخ الطبرى ١ / ٤١٤.

(٤) السنوات المجهولة من حياة المسيح ٩٧ ـ ٩٩.

✪ يهوذا بن يعقوب تزوَّج من بنت شوع، وهى امرأة كنعانيَّة، وفى الوقت نفسه زوَّج ابنه " عير " من امرأة كنعانيَّة هى " ثامار " الَّتى زنى بها يهوذا بعد وفاة ابنه، وأنجبت من ذلك الزنا توءمين هما: فارص وزارح، وكان فارص هذا جدَّ سيِّدنا داود عليه السلام، وهذا هو النص (٣ أَمَّا أَبْنَاءُ يَهُوذَا فَهُمْ: عِيرُ وَأُونَانُ وَشَيْلَةُ. وَقَدْ أَنْجَبَتْ بِنْتُ شُوعَ الْكَنْعَانِيَّةُ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ. وَأَمَاتَ الرَّبُّ عِيرَ، بِكْرَ يَهُوذَا، لأَنَّهُ كَانَ شِرِّيراً فِي عَيْنَيْهِ. ٤ وَأَنْجَبَ يَهُوذَا مِنْ كَنَّتِهِ ثَامَارَ: فَارَصَ وَزَارَحَ، فَكَانَتْ جُمْلَةُ أَوْلاَدِهِ خَمْسَةً.)[١].

✪ تزوَّج سيِّدنا إسحاق من آرامية: (٢٠ وَكَانَ إِسْحقُ فِي الأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا تَزَوَّجَ رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ الأَرَامِي مِنْ سَهْلِ أَرَامَ، وَأُخْتَ لاَبَانَ الأَرَامِي.)[٢].

✪ وعيسو تزوج من الحيثيات: (٤٦ ثُمَّ قَالَتْ رِفْقَةُ لإِسْحقَ: «قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَّاءِ الْبَنَاتِ الْحِثِّيَّاتِ، فَإِنْ تَزَوَّجَ يَعْقُوبُ مِنَ الْحِثِّيَّاتِ بَنَاتِ هَذِهِ الأَرْضِ الْمُمَاثِلاتِ لِزَوْجَتَي عِيسُو، فَإِنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي»[٣].

✪ وتزوج عيسو أيضا من بنات كنعان: (٢ تَزَوَّجَ عِيسُو مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ: عَدَا بِنْتَ إِيلُونَ الْحِثِّي، وَأُهُولِيبَامَةَ بِنْتَ عَنَى بِنْتِ صِبْعُونَ الْحِوِّي.)[٤].

✪ وكانت أم شاول كنعانية: (١٠ وَأَبْنَاءُ شِمْعُونَ: يَمُوئِيلُ وَيَامِينُ وَأُوهَدُ وَيَاكِينُ وَصُوحَرُ وَشَأُولُ ابْنُ الْكَنْعَانِيَّةِ.)[٥].

✪ وأكَّد سيدنا موسى عليه السلام فى وصاياه أنَّ سيِّدنا إبراهيم عليه السلام كان آراميًا: (٥ ثُمَّ يُعْلِنُ صَاحِبُ التَّقْدِمَةِ قَائِلاً أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ: كَانَ أَبِي أَرَامِيّاً تَائِهاً، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، وَمَعَهُ نَفَرٌ قَلِيلٌ. وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً عَظِيمَةً.)[٦].

---

(١) تكوين ٣٨: ١٢، ٢٧ ـ ٣٠، وأخبار الملوك الأول ٢: ٣ ـ ٤، والمحيط الجامع ٢٨٠ ٩٠٩.

(٢) تكوين ٢٥: ٢٠.

(٣) تكوين ٢٧: ٤٦.

(٤) تكوين ٣٦: ٢.

(٥) تكوين ٤٦: ١٠، وخروج ٦: ١٥.

(٦) تثنية ٢٦: ٥.

✪ وتزوَّج شمشون من فلسطينية: " وَذَهَبَ شَمْشُونُ إِلَى تِمْنَةَ حَيْثُ رَاقَتْهُ فَتَاةٌ مِنْ بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ ٢ فَرَجَعَ إِلَى وَالِدَيْهِ وَأَخْبَرَهُمَا قَائِلاً: «رَاقَتْنِي امْرَأَةٌ فِي تِمْنَةَ مِنْ بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فَزَوِّجَانِي مِنْهَا». ٣فَقَالَ لَهُ وَالِدَاهُ:«أَلَمْ تَجِدْ بَيْنَ بَنَاتِ أَقْرِبَائِكَ وَفِي قَوْمِنَا فَتَاةً، حَتَّى تَذْهَبَ وَتَتَزَوَّجَ مِنْ بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْغُلْفِ؟» فَأَجَابَ شَمْشُونُ أَبَاهُ: «هَذِهِ هِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي رَاقَتْنِي فَزَوِّجْنِي إِيَّاهَا».[1].

✪ وكان الحثيون يقاتلون فى جيش داود (٦ فَخَاطَبَ دَاوُدُ أَخِيمَالِكَ الْحِثِّي وَأَبِيشَاى ابْنَ صُرُويَّةَ (شَقِيقَ يُوآبَ): «مَنْ مِنْكُمَا يَنْزِلُ مَعِي إِلَى مُعَسْكَرِ شَاوُلَ؟»[2].

✪ وكان الكوشيون يقاتلون فى جيش داود، ولَّما قُتل ابنه حمل إليه الخبر جندى كوشى: (٢١ وَقَالَ يُوآبُ لِرَجُلٍ كُوشِي: «اذْهَبْ وَأَبْلِغِ الْمَلِكَ بِمَا شَاهَدْتَ». فَسَجَدَ الْكُوشِي لِيُوآبَ وَمَضَى مُسْرِعاً.)[3].

✪ وكان المديانيون يعيشون فى وسط الشعب (١٦وَغَادَرَ أَبْنَاءُ الْقَيْنِي حَمِي مُوسَى مَدِينَةَ النَّخْلِ (أَرِيحَا) وَذَهَبُوا مَعَ سِبْطِ يَهُوذَا إِلَى بَرِّيَّةِ يَهُوذَا الْوَاقِعَةِ فِي جَنُوبِي عَرَادَ، وَسَكَنُوا مَعَ الشَّعْبِ[4].

✪ وأمَّا سيِّدنا سليمان عليه السلام فقد تزوَّج مصرية: (وَتَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَأَحْضَرَهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ رَيْثَمَا يَتِمُّ إِكْمَالُ بِنَاءِ قَصْرِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ والسُّورِ الْمُحِيطِ بِأُورُشَلِيمَ.

كما تزوَّج من أمم أخرى (وَأُولِعَ سُلَيْمَانُ بِنِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ كَثِيرَاتٍ، فَضْلاً عَنِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، فَتَزَوَّجَ نِسَاءً مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، ٢ وَكُلُّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ الأُمَمِ الَّتِي نَهَى الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ الزَّوَاجِ مِنْهُمْ "[5].

---

(١) عدد ١٤: ١ ـ ٣.
(٢) صموئيل الأول ٢٦: ٦.
(٣) صموئيل الثانى ١٨: ٢١.
(٤) قضاة ١: ١٦.
(٥) الملوك الأول ٣: ١، و ١١: ١ ـ ٢.

✪ وأخآب ـ ملك إسرائيل ـ " فَتَزَوَّجَ مِنْ إِيزَابَلَ ابْنَةِ أَثْبَعَلَ مَلِكِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَغَوَى وَرَاءَ الْبَعْلِ وَسَجَدَ لَهُ. "[1].

✪ إنَّ اليهود لم يختلطوا بغيرهم فقط بل عبدوا آلهتهم أيضا: (٥وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَيْنَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. ٦وَتَزَوَّجُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِهِمْ لأَبْنَائِهِمْ وَعَبَدُوا آلِهَتَهُمْ[2].

✪ طلب رؤساء اليهود من عزرا الصلاة بشأن الزواج المختلط: (١ وَبَعْدَ أَنْ كَمَلَتْ هَذِهِ الأُمُورُ جَاءَنِي رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ قَائِلِينَ: «إِنَّ شَعْبَ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةَ وَاللاَّوِيِّينَ مَا بَرِحُوا مُنْغَمِسِينَ فِي رَجَاسَاتِ أُمَمِ الأَرْضِ كَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ وَالْعَمُّونِيِّينَ وَالْمُوآبِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ، وَلَمْ يَنْفَصِلُوا عَنْهُمْ، ٢ لأَنَّهُمْ تَزَوَّجُوا هُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ مِنْ بَنَاتِهِمْ، فَاخْتَلَطَ النَّسْلُ الْمُقَدَّسُ بِأُمَمِ الأَرَاضِي، وَقَدْ كَانَ الرُّؤَسَاءُ وَالْوُلاَةُ أَوَّلَ مَنِ ارْتَكَبَ هَذِهِ الْخِيَانَةَ»[3].

وذكر عزرا أسماء ثلاثة عشر ومائة كاهن من بطون اليهود المختلفة متزوِّجين من نساء غريبات، قال:

(وُجِدَ بَيْنَ الْكَهَنَةِ مَنْ تَزَوَّجُوا مِنْ نِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ، منهم: مَعْشِيَا، وَأَلِيعَزَرُ، وَيَارِيبُ، وَجَدَلْيَا، وَحَنَانِي،وَزَبْدِيَا، وَمَعْسِيَا، وَإِيلِيَّا، وَشَمْعِيَا، وَيَحِيئِيلُ، وَعُزِّيَّا، وَأَلْيُوعِينَاى، وَمَعْسِيَا، وَإِسْمعِيلُ، وَنَثَنْئِيلُ، وَيُوزَابَادُ، وَأَلْعَاسَةُ، وَيُوزَابَادُ، وَشِمْعِي، وَقَلاَيَا (وَهُوَ قَلِيطَا)، وَفَتَحْيَا، وَيَهُوذَا، وَأَلِيعَزَرُ، وَأَلْيَاشِيبُ، وَشَلُّومُ، وَطَالَمُ، وَأُورِي وَرَمْيَا، وَيِزِّيَّا وَمَلْكِيَا، وَمَيَّامِينُ، وَأَلْعَازَارُ، وَمَلْكِيَّا، وَبَنَايَا، وَمَتَّنْيَا، وَزَكَرِيَّا، وَيَحِيئِيلُ، وَعَبْدِي، وَيَرِيمُوثُ، وَإِيلِيَّا، وَأَلْيُو عِينَاى، وَأَلْيَاشِيبُ، وَمَتَّنْيَا وَيَرِمُوثُ، وَزَابَادُ، وَعَزِيزَا، وَيَهُوحَانَانُ، وَحَنَنْيَا، وَزَبَاى، وَعَثْلاَى، وَمَشُلاَّمُ، وَمَلُّوخُ، وَعَدَايَا، وَيَاشُوبُ، وَشَآلُ، وَرَامُوثُ، وَعَدْنَا، وَكَلاَلُ، وَبَنَايَا، وَمَعْسِيَا، وَمَتَّنْيَا، وَبَصَلْئِيلُ،

---

(١) الملوك الأول ١٦: ٣١.

(٢) قضاة ٣: ٥ ـ ٦.

(٣) عزرا ٩: ١ ـ ٢.

وَبَنُّوى، وَمَنَسَّى، وَأَلِيعَزَرُ، وَيِشِّيًا، وَمَلْكِيًّا، وَشِمْعِيَا، وَشِمْعُونُ، وَبَنْيَامِينُ، وَمَلُّوخُ، وَشَمَرْيَا، وَمَتَّنَاى، وَمَتَّاثَا، وَزَابَادُ، وَأَلِيفَلَطُ، وَيَرِيمَاى، وَمَنَسَّى، وَشِمْعِي، وَمَعْدَاى، وَعَمْرَامُ، وَأُورِيلُ، وَبَنَايَا، وَبِيدْيَا، وَكَلُوهِي، وَوَنْيَا، وَمَرِيمُوثُ، وَأَلْيَاشِيبُ، وَمَتَّنْيَا، وَمَتَّنَاى، وَيَعْسُو، وَبَانِي، وَبَنُّوى، وَشِمْعِي، وَشَلَمْيَا، وَنَاثَانُ، وَعَدَايَا، وَمَكْنَدْبَاى، وَشَاشَاى، وَشَارَاى، وَعَزَرْئِيلُ، وَشَلِمْيَا، وَشَمَرْيَا، وَشَلُّومُ، وَأَمَرْيَا، وَيُوسُفُ، وَيَعِيئِيلُ، وَمَتَّنْيَا، وَزَابَادُ، وَزَبِينَا، وَيَدُّو، وَيُوئِيلُ، وَبَنَايَا. وَقَدْ تَزَوَّجَ جَمِيعُ هَؤُلاَءِ مِنْ نِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ، أَنْجَبَتْ بَعْضُهُنَّ هَُمْ أَبْنَاءً "[1].

وإذا كان هذا العدد الضخم من الكهَّان ـ الَّذين هم رؤساء العقيدة، وحماتها ـ قد تزوَّجوا من غريبات، فكم يكون عدد الرجال من غير الكهَّان المتزوجين من غريبات ؟

✪ كانت جماعات الأسينيِّين اليهودية يحرِّمون الزواج على أنفسهم؛ لذلك كانوا يتبنَّوْن أطفالا يهودًا وأمميِّين يربُّونهم على مبادئهم[2].

✪ وجاء فى الأسفار أيضا: (وَأَقَامَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ فِى شِطِّيمَ، فَشَرَعَ الرِّجَالُ يَرْتَكِبُونَ الزِّنَى مَعَ المُوآبِيَّاتِ ٢اللَّوَاتِى أَغْوَيْنَ الشَّعْبَ لِحُضُورِ ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ وَالأَكْلِ مِنْهَا وَالسُّجُودِ لَهَا. "[3].

ويقول الأنبا شنودة الثالث[4]: والأمثلة عديدة فى الأسفار اليهوديَّة عن أجناس من الأمم ـ جماعات، وأفراد ـ تهوَّدت، أو أدخلها اليهود فى عقيدتهم، من ذلك:

✪ أهل نينوى آمنوا وتابوا، بعد أنْ غضب عليهم نبيهم سيِّدنا يونس ﷺ وهو الذى يسميه اليهود يونان، وزعموا أنَّ الله قال له:

" أَفَلاَ أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِى يُقِيمُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ

---

(١) عزرا ١٠: ١٨ ـ ٤٤ والأسماء المتشابهة هى من بطون مختلفة، وليست أسماء مكررة.

(٢) السنوات المجهولة ٨٤.

(٣) عدد ٢٥: ١ ـ ٢.

(٤) سنوات من أسئلة الناس ٦٨.

أَلْفَ شَخْصٍ مِمَّنْ لاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ يَمِينِهِمْ وَشِمَالِهِمْ، فَضْلاً عَمَّا فِيهَا مِنْ بَهَائِمَ كَثِيرَةٍ؟»[١].

✪ وآمن لسيِّدنا يونس أيضا بحَّارة السفينة الَّتى ركبها: " فَانْتَابَ الرِّجَالَ خَوْفٌ عَظِيمٌ مِنَ الرَّبِّ، وَقَرَّبُوا لَهُ ذَبِيحَةً وَنَذَرُوا نُذُوراً "[٢].

✪ راحاب الأممية الَّتى من أهل أريحا، وراعوث الأممية التى من المؤابيين كلاهما قبلهما الله، وصارتا من جدَّات المسيح "[٣].

✪ تزوَّج سيِّدنا موسى من امرأة كوشيَّة: " وَانْتَقَدَتْ مَرْيَمُ وَهرُونُ مُوسَى لِزَوَاجِهِ مِنِ امْرَأَةٍ كُوشِيَّةٍ "[٤].

✪ " كذلك دخلت فى الإيمان ملكة سبأ الَّتى تزوَّجها سليمان الحكيم، وأنجب منها منيليك، كما يقول التقليد الأثيوبى[٥].

هل تكفى هذه الأمثلة من أسفارهم ؟ إنَّ من يقرأ تلك الأسفار يجد أمثلة أخرى كثيرة تؤكِّد اختلاط أنساب اليهود بغيرهم من الأعراق الَّتى عاشوا بينها.

وفى غير الأسفار اليهوديَّة أكَّد العلماء أنَّه لا يوجد عرق يهودى، ولا يوجد نسب نقى على الإطلاق، لا لهم، ولا لغيرهم، و يمكنك أنْ ترجع إلى كتب التاريخ لتتعرَّف على الأدلَّة العلميَّة التى تثبت اختلاط أنسابهم[٦]، وسأكتفى هنا بذكر بعض الأدلَّة:

---

(١) يونان ٤: ١١.

(٢) يونان ٤: ١١.

(٣) سنوات من أسئلة الناس ٦٨، مشيرا إلى بشارة متّى " وَسَلْمُونُ أَنْجَبَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ أَنْجَبَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. " متى ١: ٥.

(٤) عدد ١٢: ١.

(٥) سنوات من أسئلة الناس ٦٨.

(٦) راجع مثلا: العرب واليهود فى التاريخ ٢٢٧ و٦٢١، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ١٦٥، ١٦٩، ١٩٠، ١٩١، ولكى لا ننسى فلسطين ٢٨ ـ ٣٠، وقصة الحضارة ٢ / ٣٠٩ و ٣٢٨.

❋ كانت أنساب يهود بنى قريظة وبنى النضير فى المدينة المنوَّرة ترجع إلى قبيلة جذام العربية[1].

❋ الأنف الأقنى: يزعم المتحدِّثون عن أنساب اليهود أنَّهم يتميَّزون بالأنف الأقنى، الشديد القنا، وبالصوت الأخنف، " والملاحظ أنَّ الملامح الإنسانيَّة الَّتى توصف بأنَّها تمثِّل النوع أو الملامح اليهوديَّة أصدق تمثيل كثيرة الظهور بين سكَّان الشرق الأوسط، وشاطئ البحر المتوسط الشرقى وذلك على الرغم من أنَّ الغالبيَّة العظمى من هؤلاء الأفراد الَّذين تظهر فيهم هذه الملامح فى الشرق الأوسط ليسوا الآن ـ ولم يكونوا مطلقا ـ يهودًا، لا من ناحية الدين، ولا فى أىِّ مظهر من مظاهر الحضارة والثقافة "[2]، وأمَّا الأنف الأقنى فليس من صفات الجنس الَّذى يصفونه بالسامى أصلا، وإنَّما هو أثر من آثار اختلاط الحثيِّين ـ وهم من الشعوب الهندوأوربيَّة القديمة ـ بالعبرانيين الأقدمين اختلاطا شديدًا أكسبهم ذلك الأنف الأقنى[3]، وأمَّا الصوت الأخنف فمردُّه إلى أنَّ ظروفًا عاطفيَّة ونفسيَّة تنتج ملامح معيَّنة على الوجه، ومظاهر معيَّنة فى الجسد، وطباعا خاصَّة فى السلوك، ومميزات صوتيَّة متميِّزة، وغيرها من الميول والأهواء المتصلة بالشخصيَّة، وهذه الظروف الَّتى تنتج هذه الصفات الَّتى تميِّز بعض اليهود بمجرد النظر إليهم راجعة إلى عادات اليهود وإلى نوع المعاملة الَّتى يعاملهم بها الناس لا إلى صفات جسديَّة وراثيَّة كما يزعمون[4].

والدليل على أنَّ الشعور والتفكير يؤثران فى الشكل وفى السِّمات ما كتبه سيِّد قطب تعليقا على قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[5] قال: " ليس من الضرورى أنْ يستحيلوا قردة بأجسامهم،

---

(١) موسوعة تاريخ اليهود ٢٥.
(٢) خرافات عن الأجناس ٤٩.
(٣) قصة الحضارة ٢ / ٣٠٣.
(٤) خرافات عن الأجناس ٤٩.
(٥) سورة البقرة ٢: ٦٥.

فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم، وانطباعات الشعور والتفكير تعكس على الوجوه والملامح سمات تؤثِّر فى السِّحْنة، وتلقى ظلَّها العميق "[1].

❁ كان النبى حزقيال يرى أنَّ اندماج اليهود فى الثقافة البابلية وفى الدم البابلى أثناء السبى سيقضى على وحدة اليهود، وعلى كيانهم أيضا؛ فقد زادت ثرواتهم، وتحسَّنت أحوالهم فى أرض الجزيرة الغنيَّة، " وأخذت طائفة منهم مطِّردة الزيادة تعبد الآلهة البابلية، وتألف الأساليب الشهوانيَّة الشائعة فى العاصمة القديمة، حتَّى إذا كان الجيل الثانى من أبناء المنفيين كانت ذكرى أورشليم قد محيت أو كادت تمحى من أذهانهم[2].

❁ لو كان للجنس اليهودى صفات جسديَّة تميِّزهم من غيرهم بمجرَّد النظر إليهم كما تتميَّز الأجناس المعروفة فما الدَّاعى إلى أنْ يفرض عليهم تميُّزا بالزى والعلامة فى أكثر الحضارات المعروفة، فمن ذلك:

✿ كان المسلمون فى وقت ازدهار حضارتهم يفرضون على الذمِّيين التميُّز عن المسلمين فى اللباس بأنْ يخيطوا فى ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونها، سواء فى ذلك الرجال والنساء، وكان اللَّون الأصفر مفروضا على اليهود فى ثيابهم وفى عمائمهم[3]، وفى سنة ٣٩٥ هـ/ ١٠١٢م أمر الحاكم بأمر الله الفاطمى اليهود بلبس العمائم السود، وعلى أعناقهم قرامى الخشب والجلاجل[4].

✿ أجبر النَّازيُّون الألمان اليهود على أنْ يضعوا على ملابسهم نجمة داود لكى يمكن للآريِّين [الألمان الأنقياء] التعرف عليهم[5].

❁ ذكر موسولينى فى سنة ١٩٣٢م أنَّه لا توجد أجناس نقيَّة، ولا محلَّ لمناهضة

---

(١) فى ظلال القرآن ١ / ٧١.

(٢) قصة الحضارة ٢ / ٣٦٢.

(٣) سمات أهل الكتاب فى المصنفات العربية ٧٣.

(٤) المصدر السابق ١٠٣.

(٥) خرافات عن الأجناس ٤٩.

الساميَّة فى إيطاليا؛ لأنَّ اليهود الإيطاليين كانوا يسلكون سلوكا طيِّبا كمواطنين، ويحاربون بشجاعة وبسالة كجنود إيطاليين، وبعد أنْ وقَّع موسولينى معاهدة تحالف مع الألمان، أعلن موسولينى فى البيان الفاشى الإيطالى فى ١٤ من يولية سنة ١٩٣٨م أنَّ هناك جنسًا إيطاليا نقيا، وأنَّ اليهود لا يمتُّون بأية صلة إلى الجنس الإيطالى، وأنَّ العناصر الساميَّة ـ العرب وغيرهم ـ الَّتى استقرّت قرونًا طويلة على أرض الوطن المقدَّس رحلت عنه دون أنْ تترك أثرًا فيهم، بل إنَّ احتلال العرب لجزيرة صقليَّة لم يخلِّف أىَّ أثر سوى بعض الأسماء فى زعمه[1].

❁ أكثر اليهود اليوم إنْ لم يكن جميعهم هم من الخزر[2] بالاعتناق والتحوُّل؛ فإنَّ بنيامين فريدمان بما اطَّلع عليه من الوثائق التاريخية فى مكتبة نيويورك وفى غيرها أثبت بما لا يدع مجالا للشك أنَّ يهود اليوم ينحدرون من سلالة الخزر الذين أسسوا لهم مملكة وثنيَّة فى شمالى بحر قزوين، فى غربى آسيا، وفى سنة ٢٧٠ م اعتنق الملك بولان اليهودية، وأصبح أول ملك يهودى للخزر، وقد اختفت هذه المملكة تماما من خارطة أوربَّا الشرقية، وعملت وسائل الإعلام اليهودية على تعفية آثارها، وإخفاء معالمها، وصبَّ اليهود جام غضبهم على كل من يحاول كشف تلك الحقائق التاريخية، أو نبش الماضى، أو الإشارة إلى أصولهم[3].

وعندما زار أحمد بن فضلان مملكة الخزر فى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م وصف تلك

---

(١) خرافات عن الأجناس ٤٩.

(٢) الخزر شعب مجهول الأصل، ينسبهم البعض إلى المغول أو إلى الأتراك، ظهر فى قلب آسيا، وانتقل إلى أوربا الشرقية حيث أسسوا مملكة ملكها يهودى، وإنْ كان اليهود أقل السكان عددا، وأمَّا غالبية السكان فهم مسلمون، وفيهم مسيحيُّون ووثنيُّون، وعاداتهم لا تتفق مع أى دين من الأديان. انظر: رسالة ابن فضلان ١٦٩، ومعجم البلدان " خزر " ٢ / ٣٦٧، وتاريخ يهود الخزر ٢٤ وما بعدها.

(٣) يمكن الاطلاع على الموضوع فى المجلد الرابع من الموسوعة اليهوديَّة الصادرة فى سنة ١٩٠٣م (ص ١ ـ ٥) والَّتى يوجد أصلها فى مكتبتى الكونجرس، ومكتبة نيويورك العامة، وفيهما توجد الخارطة المهمَّة لمملكة الخزر فى القرن العاشر الميلادى، وبالإضافة إلى الموسوعة والخارطة ٣٢٧ كتاب وضعها أعظم مؤرخى العالم عن تاريخ الخزر مكتوبة بتسع عشرة لغة قديمة وحديثة. انظر: الأديان المعاصرة ٧ ـ ٨.

البلاد، وبيَّن عادات السكان، وعقائدهم، ونظام الحكم، وسلوكهم وكلُّها مخالفة لتعاليم الرسالات السماويَّة جميعها؛ فإذا ركب الملك ركب سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين المواكب ميل، فلا يراه أحد من رعيَّته إلاَّ خرَّ لوجهه ساجدًا له، لا يرفع رأسه حتَّى يجاوزه[1].

ويبدو أنَّ السجود للبشر لم يكن لتعظيم الملك وحده؛ فالغالب على أخلاق الخزر أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم، ونظام حكمهم على صورة تخالف ما هو منصوص عليه عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء[2].

والروايات التاريخية تكاد تجمع على أنَّ اليهود جنس مختلط تتمثّل فيه كل خصائص الأجناس المعروفة فـ" إنَّ نقاوة السلالة اليهودية ما هى إلاَّ أوهام؛ فإنَّ أكثر التغييرات، والاختلافات بين السلالات توجد بين اليهود، إذ تتفاوت الاختلافات فيما يختص بشكل الرأس بين الرأس العريض، والرأس الطويل جدًّا، وفى ألمانيا وروسيا على وجه الخصوص، يوجد من اليهود من لا تظهر عليهم إطلاقا أية صفات، ومميزات جسدية آسيوية "[3].

فأين إذن نقاء الجنس اليهودى ؟

وأين شعب الله المختار بين هذه الأخلاط ؟

وكما تصدَّى العلماء لتفنيد فرية " نقاء الأصل اليهودى " بيَّنوا أيضا أكذوبة "الشعب المختار"[4].

---

(١) رسالة ابن فضلان ١٧١.

(٢) معجم البلدان ٢ / ٣٦٨.

(٣) خرافات عن الأجناس ٥٤.

(٤) العرب واليهود فى التاريخ ٦٠٢، وفيه إشارة إلى كتاب " أسطورة الشعب المختار " لجان لوى برنار، وشرح مفصَّل للعقد النفسيَّة الَّتى جعلت كتَّاب الأسفار اليهودية ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وادِّعائهم نسبا شريفا ليس لهم حق فيه، وراجع مقالا بعنوان " أكذوبة شعب الله المختار "، مجدى إبراهيم محرَّم، منشور فى جريدة الشعب الإلكترونية.

وقد تثار مثل هذه التساؤلات:

❁ ـ لماذا زعم اليهود أنَّ أبناء سيِّدنا نوح ﷺ ثلاثة فقط ؟

❁ ـ ولماذا اختاروا لأنفسهم الانتساب لأكبر الأبناء ؟

❁ ـ وما موقفهم من النسب بالنسبة للآخرين ؟

ـ وللإجابة عن السؤال الأول نقول: لا أدرى من أين لليهود معرفة هذا العدد ؟ ولماذا ثلاثة أبناء على وجه التحديد ؟

قد يتَّهم البعض مَنْ يسأل هذا السؤال عن العدد بالسذاجة، وربَّما يتَّهم بالغباء أيضًا، ولكنَّ هناك مسوِّغات له؛ ويخيَّل إلىَّ أنَّ العالم القديم المعروف فى ذلك الوقت ـ قبل اكتشاف الأمريكتين وأستراليا ـ هو الذى أوحى إليهم به؛ فقد اخترع مؤلفو الأسفار اليهوديَّة هذه الأسماء الثلاثة لأبناء سيِّدنا نوح ﷺ ليعمروا العالم القديم المعروف على أيامهم؛ فسام عمَّر قارة آسيا، ويافث عمَّر قارة أوربا، وحام عمَّر قارة أفريقية، بزعمهم، ولو أنَّ القارات الست كانت كلها معروفة فى ذلك الوقت لاخترعوا لسيِّدنا نوح ﷺ ستة أبناء بعدد القارات؛ أمَا والقارات المعروفة لهم ثلاث فقط؛ فيجب أنْ يكون لسيِّدنا نوح ثلاثة أبناء فقط بعدد القارات، والدليل على ذلك أنَّهم قسَّموا السُّلالات البشرية، بحسب روايتهم كالآتى:

بنو يافَث: جومَر، وماجوج، ومادای، وياوان، وتوبل، وماشك، ووتيراس، ومن هؤلاء تفرّق الناس فى آسيا الصغرى، وجزر البحر الأبيض المتوسط، بحسب بلدانهم، ولغاتهم، وعشائرهم وأممهم.

بنو حام: كوش، ومصرائيم، وفوط، وكنعان، ومن كوش: سبأ، وحويلة.. وغيرهما من قبائل العرب، ومنه أيضا نُمْرُود ـ أوَّل جبَّار فى الأرض ـ وهو الذى حاجَّ سيدنا إبراهيم ﷺ فى ربه، ويسكن الحاميون مصر، والحبشة، وجزيرة العرب.

وبنو سام: عيلام، وأشور، وأرفكشاد، ولود، وأرام.. ويسكنون بين المجموعتين الأوليين[1].

---

(١) التكوين ١٠: ١ ـ ٣٢، وانظر: الشروح المفسرة لها فى الصفحتين ٨٢ ـ ٨٣.

واضح أنَّ هذا التقسيم كهنوتى، وفيه عناصر يهودية، علمًا بأنَّ التسمية العرقية " ساميَّة " لا تنطبق على واقع الحال بالنسبة للشعوب المعروفة اليوم بالسامية؛ فالساميُّون هم الشعوب التى يجمع بينها العامل اللغوى، وتتكلم لغة ساميّة، وأهم هؤلاء الشعوب هم: العرب فى جنوبى الجزيرة العربة وشماليها، والعموريون فى شمالى سورية، وبابل، وواحة تدمر، وجنوبى سوريّة، وبلاد كنعان، والأشوريُون فى شمالى بلاد ما بين النهرين، والآراميون فى سورية، والكنعانيون فى فينيقية، وبلاد كنعان (فلسطين)، والعبرانيون فى بلاد كنعان. "[1].

وفى ضوء التقدُّم العلمى والكشوف الأثريَّة تبيَّن للباحثين أنَّ مصطلح "سامى" لا يعبِّر بدقَّة عن حضارات تلك الشعوب ولغاتها، وعلاقاتها الإثنيَّة، بل إنَّ القول بانحدار كل تلك الشعوب من صلب رجل واحد هو " سام بن نوح " مجرَّد أسطورة لا سند لها من الواقع، والمنطق، والتاريخ؛ لذلك اقترح كثير من العلماء مصطلحات أخرى بديلة، أشهرها: عربى، أو جَزَرِىٌّ نسبة إلى شبه الجزيرة العربيَّة باعتبارها الموطن الأصلى لتلك الشعوب، ومنه انطلقت إلى الشمال، واستوطنت الشام وبلاد الرافدين[2]، وفى الندوة الَّتى دعا إليها مجمع اللغة العربية فى ليبيا، وحضرها ثلَّة من علماء العرب المختصِّين من مختلف أقطار الوطن: من المغرب، وتونس، وليبيا، ومصر، وسورية، والعراق، وعمان، واليمن، وعقدت بمقر المجمع فى يناير من سنة ٢٠٠٤م، واتَّفق المشتركون فى أبحاثهم على جملة من المفاهيم، من أهمها:

١ ـ استعمال مصطلح " اللهجات " بدلا من اللغات؛ باعتبار مصطلح اللغات صار ذا دلالة خاصة تفيد انفصال لسان قوم عن ألسنة أخرى، والحق أنَّ ما كان يدعى اللغات البابلية، والكنعانية، والمصرية، والليبية والحبشية... ونحوها ليست سوى لهجات من لغة أم واحدة، انبثقت عنها تلك اللهجات على امتداد الوطن فى التاريخ.

---

(١) معجم الحضارات السامية ٤٥٨.

(٢) العرب واليهود فى التاريخ ٣٢٨، وثالوث الشر ٥٨ ـ ٦٠.

٢ ـ إطلاق مصطلح " اللغة العروبية " على اللغة الأم الأولى الَّتى انبثقت عنها كل اللهجات السابقة، وتشمل معها أيضا العربية ـ نسبة إلى جزيرة العرب ـ أو هى العدنانية اللهجة الَّتى عمَّت بعد الفتح الإسلامى وصارت مشتركة بين أقطار الوطن العربى الكبير.

٣ ـ إلغاء مصطلحى " اللغات السامية "، و" اللغات السامية الحامية " باعتبارهما مصطلحين غير علميين، ولا أساس لهما من الصحَّة[١].

ومن المعروف أنَّ الله ﷻ نجَّى سيِّدنا نوحا ﷺ ومَنْ آمن معه مِنْ أبنائه، ومَنْ آمن معه من قومه، قال تعالى:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[٣]، وبالمنطق ما كان الله لينجيهم ثم يقطع دابرهم، وقد اقتضت حكمته ﷻ أنْ ينجيهم؛ ليعمروا الأرض الَّتى خرَّبها الطوفان، فإذا كان البشر الموجودون ـ بحسب زعم اليهود ـ هم من نسل أبناء نوح ﷺ وحده فأين ذهب نسل الَّذين آمنوا معه ؟

والراجح أنَّ الطوفان فى أيَّام سيِّدنا نوح ﷺ كان فى جزء محدود جدًّا من العالم؛ فقد كان فى منطقتين هما: شمالى العراق وشمالى الشام فقط، ولنا على ذلك دليلان:

الدليل الأوَّل: أنَّ الغرق كان عقابًا للكفَّار من قوم سيِّدنا نوح ﷺ، والَّذين لم يؤمنوا برسالته، ولمَّا كان سيِّدنا نوح ﷺ لم يرسل للبشر كافَّة، ولم يكن مرسلا بكتاب سماوى يبلِّغه إلى الناس فليس من المقبول عقلاً وشرعًا أنْ يعاقب الله تعالى

---

(١) الوحدة والتنوع ١٠.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٣.

(٣) سورة يونس ١٠: ٧٣، ويرى كثير من المفسرين أنَّ جميع الأحياء من ذريَّة نوح ﷺ أخذًا بظاهر الآية: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ " الصافات " ٣٧: ٧٧ وذلك إذا كانت الذريَّة بمعنى الأبناء خاصَّة فى حين أنَّها قد تطلق على الآباء أيضا، قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ " يس " ٣٦: ٤١.

قومًا أبرياء، لم تبلغهم دعوة سيِّدنا نوح عليه السلام، ولم يكفروا برسالته؛ فعدل الله صريح فى أنَّه ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

الدليل الآخر: وَجَدَ الأثريُّون ذِكْرًا لما خلَّفه الطوفان من دمار فيما دوَّنته وتكرر معناها أيضا فى الأسفار اليهودية، فمن ذلك: (١٦لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عِوَضاً عَنِ الأَبْنَاءِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَبْنَاءُ بَدَلاً مِنَ الآبَاءِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَتَحَمَّلُ وِزْرَ نَفْسِهِ.) تثنية الاشتراع ٢٤ : ١٦، (٥وَعِنْدَمَا اسْتَتَبَّ الْمُلْكُ فِى يَدِهِ قَتَلَ رِجَالَهُ الَّذِينَ اغْتَالُوا أَبَاهُ الْمَلِكَ. ٦وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَصَّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ عَمَلاً بِمَا هُوَ وَارِدٌ فِى كِتَابِ شَرِيعَةِ مُوسَى، حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ بِذَنْبِ الْبَنِينَ وَلاَ يُقْتَلُ الْبَنُونَ بِذَنْبِ الآبَاءِ، إِنَّمَا يُقْتَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا جَنَتْ يَدَاهُ».) الملوك الثانى ١٤: ٥ ـ ٦.

حضارة بلاد الرافدين من نصوص ونقوش سومريَّـة وبابلية، كما نجد له صدى أيضا فى ملحمة "جلجاميش" الشهيرة، وذلك فى الوقت الَّذى لم

يجد فيه الأثريون أىَّ ذكْـرٍ للطوفان فى الآثار الَّتى تركتها حضارتى مصر والشرق الأقصى، وهما حضارتان كانتا مزدهرتين فى نفس الوقت الَّذى حدث فيه الطوفان، كما كانتا معاصرتين لحضارتى بابل وآشـور، ولو كان الطوفان قد غطَّى وجه الأرض كلِّها ـ كما يزعم اليهود ـ لوجدنا له ذكرا فى آثار الحضارات القديمة[2].

وبناء على هذين الدليلين فإنَّ سكان البلاد الَّتى لم يغرقها الطوفان ليسوا من ذريَّة أبناء سيِّدنا نوح عليه السلام.

---

(١) تكررت هذه الآية الكريمة فى خمسة مواضع فى القرآن الكريم، هى: سورة الأنعام ٦: ١٦٤، سورة الإسراء ١٧: ١٥، سورة فاطر ١٥: ١٨، سورة الزمر ٣٩: ٧، سورة النجم ٥٣: ٣٨، وهذا هو العدل الإلهى.

(٢) فى تاريخ الطبرى ١ / ١٩٢، أنَّ المجوس لا يعرفون الطوفان، وأنَّ الملك فيهم لم يزل متصلا منذ آدم، وكان بعضهم يقر بالطوفان، ويزعم أنَّه كان فى إقليم بابل وما قرب منه، ولم يصل إلى المشرق، والعرب واليهود فى التاريخ ٤٧٢، وقصة الحضارة ٢ / ١٦، وقصص الأنبياء والتاريخ ١ / ١٠٥، وقصة الديانات ٥٧.

ومن الوجهة العلمية لا نعرف لماذا اختلف أبناء سيدنا نوح ﷺ فى الجنس، فكان منهم الأصفر والأسود والأبيض، وهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، وكأنَّ سلالة نوح ﷺ لا تخضع لعوامل الوراثة الإنسانيَّة، مما يقطع ببطلان هذه الرواية.

وكذلك حَرَصَ المستشرقون واليهود على تقسيم الأسر اللغوية ثلاثة أقسام، وإرجاعها إلى أبناء سيِدنا نوح وهو تقسيم"بعيد عن العلم، وعن الواقع؛ فليس من المعقول أنْ يتكلَّم أبناء رجل واحد ثلاث لغات ذات خصائص متباعدة "[1].

وفى الحقيقة فإنَّ جميع ما جاء فى الأسفار اليهودية من أنساب باطلة؛ فليس هناك جنس ينسب إلى سام، أو حام، أو يافث، إنْ هى إلاَّ أسماء مختلقة، لا أساس لها من تاريخ، أو دين، أو علم، وهذه الأسماء ترجع فى أصولها اللغوية جميعها إلى اللغتين الكنعانية والآرامية، وكانت أعلامًا لأماكن فلسطينية مدنا ومناطق سمِّيت بأسماء أعلام لأفراد من البشر من ذوى الشهرة والمكانة الاجتماعية الرفيعة، والَّذين كانوا يتخذُون هذه الأماكن مساكن لهم، فسميت بأسمائهم تبرُّكا بهم، وتخليدًا لذكراهم[2]، ومن الثابت أيضا أنَّ جميع الأسماء الواردة فى الأسفار اليهودية مثل ـ إبرام، ويعقوب، وإسماعيل، وإسرائيل، ويوسف، وناحور، وتارح، وصهيون، وبنيامين، ودان، وأشير، وزبولون، وغيرها ـ أسماء كنعانية بابلية متداولة فى العالم العربى القديم قبل ظهور قوم موسى، وقبل ظهور اليهود[3].

ـ وللإجابة عن السؤال الثانى نقول:

زعم اليهود أنَّهم ينتسبون ـ هم وأنصارهم والمخدوعون بهم ـ إلى " سام " أكبر أبناء سيِّدنا نوح ﷺ، بينما ينتسب أعداؤهم جميعا إلى " حام " أصغر الأبناء، الذى انصبت عليه لعنات أبيه، ولعنات اليهود ولعنات المسيحيين أيضا.

---

(١) ظاهرة الإعراب ١٥.

(٢) العرب واليهود فى التاريخ ٥٢٧.

(٣) المصدر السابق ٥٣٣.

واختيار اليهود الانتساب إلى سام يرجع إلى أسباب ماديَّة بحتة؛ فالقاعدة الأساسيَّة فى التوريث عند اليهود أنَّ الذكور وحدهم هم الَّذين يرثون دون الإناث إلاَّ فى غياب الذكور، وبشرط أنَّ يتزوَّجن فى قبيلة أبيهن.

وللابن البكر مكانة مميَّزة فى القانون اليهودى؛ فهو يرث ثلثى خيرات أبيه.

ولو كان للرجل أكثر من زوجة، يظل الابن الأول محتفظا بحق بكوريته (١٥ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجاً مِنِ امْرَأَتَيْنِ، يُؤْثِرُ إِحْدَاهُمَا وَيَنْفُرُ مِنَ الأُخْرَى، فَوَلَدَتْ كِلْتَاهُمَا لَهُ أَبْنَاءً، وَكَانَ الابْنُ الْبِكْرُ مِنْ إِنْجَابِ الْمَكْرُوهَةِ، ١٦ فَحِينَ يُوَزِّعُ مِيرَاثَهُ عَلَى أَبْنَائِهِ، لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الزَّوْجَةِ الأَثِيرَةِ لِيَجْعَلَهُ بِكْرَهُ فِى الْمِيرَاثِ عَلَى بِكْرِهِ ابْنِ الزَّوْجَةِ الْمَكْرُوهَةِ. ١٧ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِبَكُورِيَّةِ ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ، وَيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَظْهَرِ قُدْرَتِهِ، وَلَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ[1].

ولو كان الإنجاب الأوَّل للرجل ولدين توءمين كان البكر منهما هو الَّذى يخرج أوَّلاً من حشا أمِّه.

وقدَّ رتَّب اليهود على هذه الامتيازات القانونية أمورًا كثيرة[2] منها:

قد يبيع الابن الأوَّل حقَّ بكورته لأخيه الأصغر تحت ضغط الحاجة، ومثال ذلك بيع عسو بكوريته لأخيه يعقوب؛ فقد رجع عيسو من الحقل مرهقا جائعا، وكان يعقوب قد أعدَّ طعامًا من العدس، وطلب عيسو من أخيه إطعامه، فساومه على بكريته مقابل الطعام منتهزًا حاجة أخيه للطعام ليشترى منه بكريته. (٢٩وَذَاتَ مَرَّةٍ عَادَ عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ مُرْهَقاً فَوَجَدَ يَعْقُوبَ قَدْ طَبَخَ طَعَاماً، ٣٠فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِى مِنْ هَذَا الطَّبِيخِ الأَحْمَرِ لأَنَّنِى جَائِعٌ جِدّاً». لِهَذَا دُعِىَ عِيسُو بِأَدُومَ. ٣١فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِى أَوَّلاً امْتِيَا زَاتِ بَكُورِيَّتِكَ». ٣٢فَقَالَ عِيسُو: «أَنَا لاَبُدَّ مَائِتٌ، فَأَى نَفْعٍ لِى مِنْ بَكُورِيَّتِي؟» ٣٣فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِى أَوَّلا». فَحَلَفَ لَهُ، وَبَاعَ امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِهِ لِيَعْقُوبَ. ٣٤عِنْدَئِذٍ أَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزاً

---

(١) تثنية ٢١: ١٥.

(٢) المحيط الجامع، مادة " ميراث " ١٢٨١.

وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَامَ وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ. وَهَكَذَا احْتَقَرَ عِيسُو امْتِيَازَاتِ الْبَكُورِيَّةِ.)[1].

﴿ وقد يحصل الابن الثانى على ميراث الابن البكر، وهو فى مصطلحهم " البركة "، وحصول الابن الأصغر ـ أو غير المستحق ـ على ميراث الابن الأكبر يعدُّ خروجًا عن القانون، وهذا الخروج لا يكون إلاَّ لصالح بنى إسرائيل، وغالبا ما يكون ذلك بالخديعة والغش، أو بالكذب والافتراء على الله، أو بالغفلة وسوء التمييز، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: عيسو ويعقوب، وهما ابنا سيِّدنا إسحاق ﷺ، وكانا توءمين، البكر منهما عيسو، وكان أصهب اللون كلَّه كفروة شعر، ماهرًا فى الصيد، رجل الحقول، حبيبًا إلى أبيه يعقوب؛ لأنَّه كان يستطيب صيده، والآخر منهما يعقوب، وُلِدَ ويده قابضة على عقب عيسو، وكان مستقرًّا فى الخيام، حبيبًا إلى أمِّه رفقة؛ لأنَّه كان لصيقًا بها ملازما لها، لا عمل له.

كبر سيِّدنا إسحاق ﷺ، وكلَّ بصره، وثقل سمعه، ولمَّا أراد مباركة ابنه عيسو قبل موته طلب إليه أنْ يحضر له صيدا، ويصنع منه ألوانًا طيِّبة من الطعام، وخرج عيسو للصيد كما أمره أبوه.

دبَّرت رفقة مؤامرة لانتزاع البركة من إسحاق ﷺ إلى ابنها الحبيب يعقوب؛ وهذا نص المؤامرة كما وردت فى الأسفار:

مؤامرة رفقة

٥وَسَمِعَتْ رِفْقَةُ حَدِيثَ إِسْحقَ لابْنِهِ عِيسُو. فَعِنْدَمَا انْطَلَقَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيَصْطَادَ صَيْداً وَيَأْتِيَ بِهِ. ٦قَالَتْ رِفْقَةُ لابْنِهَا يَعْقُوبَ: «سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ لِعِيسُو أَخِيكَ ٧اقْتَنِصْ لِي صَيْداً، وَجَهِّزْ لِي أَطْعِمَةً شَهِيَّةً لِآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ مَوْتِي». ٨وَالآنَ يَابُنَيَّ أَطِعْ قَوْلِي فِي مَا آمُرُكَ بِهِ، ٩وَاذْهَبْ إِلَى قَطِيعِ الْمَاشِيَةِ، وَاخْتَرْ

---

(١) .

جَدْيَيْنِ لأُجَهِّزَ لأَبِيكَ أَطْعِمَةً شَهِيَّةً كَمَا يُحِبُّ، ١٠ تُقَدِّمُهَا لأَبِيكَ لِيَأْكُلَ، فَيُبَارِكَكَ قَبْلَ
وَفَاتِهِ». ١١ فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «أَخِي عِيسُو رَجُلٌ أَشْعَرُ، وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. ١٢
وَقَدْ يَجُسُّنِي أَبِي فَيَتَبَيَّنُ خِدَاعِي، وَأَسْتَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً». ١٣ فَقَالَتْ لَهُ
أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَابُنَيَّ، فَأَطِعْ قَوْلِي فَقَطْ، وَاذْهَبْ وَأَحْضِرِ الْجَدْيَيْنِ لِي». ١٤ فَذَهَبَ
وَاخْتَارَهُمَا وَأَحْضَرَهُمَا لأُمِّهِ، فَأَعَدَّتْ رِفْقَةُ الأَطْعِمَةَ الْمُطَيَّبَةَ كَمَا يُحِبُّ أَبُوهُ ١٥
وَتَنَاوَلَتْ ثِيَابَ بِكْرِهَا عِيسُو الْفَاخِرَةَ الْمَوْجُودَةَ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ
ابْنَهَا الأَصْغَرَ، ١٦ وَكَذَلِكَ غَطَّتْ يَدَيْهِ وَمَلاَسَةَ عُنُقِهِ بِجِلْدِ الْجَدْيَيْنِ. ١٧ وَأَعْطَتْهُ مَا
أَعَدَّتْهُ مِنَ الأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّةِ وَالْخُبْزِ.

يعقوب يسرق البركة

١٨ فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَاأَبِي». فَأَجَابَهُ: «نَعَمْ يَابْنِي، مَنْ أَنْتَ؟» ١٩ فَقَالَ
يَعْقُوبُ: «أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. وَقَدْ فَعَلْتُ كَمَا طَلَبْتَ، وَالآنَ قُمْ وَاجْلِسْ، وَكُلْ مِنْ
صَيْدِي حَتَّى تُبَارِكَنِي». ٢٠ فَقَالَ إِسْحَقُ: «كَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجِدَ صَيْداً بِمِثْلِ هَذِهِ
السُّرْعَةِ يَا وَلَدِي؟» فَأَجَابَهُ: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي ذَلِكَ». ٢١ وَقَالَ إِسْحقُ:
«اقْتَرِبْ مِنِّي لأَجُسَّكَ يَاابْنِي لأَرَى إِنْ كُنْتَ حَقّاً ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ». ٢٢ فَدَنَا يَعْقُوبُ
مِنْ أَبِيهِ إِسْحقَ فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، أَمَّا الْيَدَانِ فَهُمَا يَدَا عِيسُو».
٢٣ وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَي أَخِيهِ عِيسُو، فَبَارَكَهُ، ٢٤ وَسَأَلَ: «هَلْ
أَنْتَ ابْنِي عِيسُو؟» فَأَجَابَ: «أَنَا هُوَ». ٢٥ ثُمَّ قَالَ: «قَدِّمْ لِي مِنْ صَيْدِكَ حَتَّى آكُلَ
وَأُبَارِكَكَ». فَأَحْضَرَ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَأَكَلَ ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ خَمْراً فَشَرِبَ، ٢٦ فَقَالَ لَهُ
إِسْحقُ أَبُوهُ: «تَعَالَ وَقَبِّلْنِي يَاوَلَدِي». ٢٧ فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَبَّلَهُ، فَتَنَسَّمَ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ
وَبَارَكَهُ قَائِلاً: «هَا إِنَّ رَائِحَةَ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ بَارَكَهُ الرَّبُّ، ٢٨ فَلْيُنْعِمْ عَلَيْكَ الرَّبُّ
مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، فَيُكَثِّرُ لَكَ الْحِنْطَةَ وَالْخَمْرَ. ٢٩ لِتَخْدُمْكَ
الشُّعُوبُ، وَتَسْجُدْ لَكَ الْقَبَائِلُ، لِتَكُنْ سَيِّداً عَلَى إِخْوَتِكَ. وَبَنُو أُمِّكَ لَكَ يَنْحَنُونَ.
وَلْيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ».

٣٠وَلَمَّا فَرَغَ إِسْحقُ مِنْ مُبَارَكَةِ يَعْقُوبَ، وَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ عِنْدِ أَبِيهِ، رَجَعَ عِيسُو مِنْ صَيْدِهِ، ٣١فَجَهَّزَ هُوَ أَيْضاً أَطْعِمَةً طَيِّبَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ فَتُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ٣٢فَقَالَ إِسْحقُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَأَجَابَهُ: «أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو». ٣٣ فَارْتَعَدَ إِسْحقُ بِعُنْفٍ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ إِذاً الَّذِي اصْطَادَ صَيْداً وَأَحْضَرَهُ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ وَحَقّاً يَكُونُ مُبَارَكاً». ٣٤فَمَا إِنْ سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ حَتَّى أَطْلَقَ صَرْخَةً هَائِلَةً وَمُرَّةً جِدّاً وَقَالَ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَا أَبِي». ٣٥فَأَجَابَ: «لَقَدْ مَكَرَ بِي أَخُوكَ وَسَلَبَ بَرَكَتَكَ». ٣٦فَقَالَ: «أَلَمْ يُدْعَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ؟ لَقَدْ تَعَقَّبَنِي مَرَّتَيْنِ: أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهَا هُوَ يَسْلُبُنِي الآنَ بَرَكَتِي». ثُمَّ قَالَ: «أَمَا احْتَفَظْتَ لِي بِبَرَكَةٍ؟» ٣٧فَأَجَابَ إِسْحقُ: «لَقَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّداً لَكَ، وَصَيَّرْتُ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ لَهُ خُدَّاماً، وَبِالْحِنْطَةِ وَالْخَمْرِ أَمْدَدْتُهُ. فَمَاذَا أَفْعَلُ لَكَ الآنَ يَا وَلَدِي؟». ٣٨فَقَالَ عِيسُو: «أَ لَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَا أَبِي». وَأَجْهَشَ عِيسُو بِالْبُكَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ. ٣٩فَأَجَابَهُ أَبُوهُ: «هَا مَسْكِنُكَ يَكُونُ فِي أَرْضٍ جَدْبَاءَ لاَ يَهْطُلُ عَلَيْهَا نَدَى السَّمَاءِ. ٤٠بِسَيْفِكَ تَعِيشُ وَلأَخِيكَ تَكُونُ عَبْداً، وَلَكِنْ حِينَ تَجْمَحُ تُحَطِّمُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ»[1].

المثال الثانى: مَنَسَّى وأفْرَايِم: وهما ابنا سيِّدنا يوسف ﷺ، وإذاكان سيِّدنا يعقوب ﷺ قد حصل على بركة أبيه بالغش والكذب والخداع ـ فى رواية اليهود الزائفة ـ فقد تعمَّد الخروج على القانون ومباركة الابن الأصغر بالعناد والإصرار على الخطأ: " ٨ وَأَبْصَرَ إِسْرَائِيلُ ابْنَى يُوسُفَ فَسَأَلَ: «مَنْ هَذَانِ؟» ٩ فَأَجَابَهُ يُوسُفُ: «هُمَا ابْنَاى اللَّذَانِ رَزَقَنِي إِيَّاهُمَا اللهُ هُنَا». فَقَالَ: «أَدْنِهِمَا مِنِّي فَأُبَارِكَهُمَا». ١٠ وَكَانَتْ عَيْنَا إِسْرَائِيلَ قَدْ كَلَّتَا مِنَ الشَّيْخُوخَةِ، فَلَمْ يَكُنْ قَادِراً عَلَى النَّظَرِ، فَقَرَّبَهُمَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُمَا وَاحْتَضَنَهُمَا ١١ وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّنِي أُبْصِرُ وَجْهَكَ، وَهُوَذَا

---

(١) تكوين ٢٧: ١ ـ ٤٠.

اللهُ قَدْ أَرَانِى ذُرِّيَّتَكَ أَيْضاً». ١٢ثُمَّ أَبْعَدَهُمَا يُوسُفُ عَنْ حِضْنِ أَبِيهِ وَسَجَدَ فِى حَضْرَتِهِ إِلَى الأَرْضِ.

١٣وَأَخَذَ يُوسُفُ أَفْرَايِمَ بِيَمِينِهِ وَأَوْقَفَهُ إِلَى يَسَارِ إِسْرَائِيلَ، وَأَخَذَ مَنَسَّى بِيَسَارِهِ وَأَوْقَفَهُ إِلَى يَمِينِهِ، ١٤فَمَدَّ إِسْرَائِيلُ يَمِينَهُ، مُتَعَمِّداً، وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ وَهُوَ الصَّغِيرُ، وَيَسَارَهُ عَلَى رَأْسِ مَنَسَّى مَعْ أَنَّهُ الْبِكْرُ. ١٥وَبَارَكَ يُوسُفَ قَائِلاً: «إِنَّ اللهَ الَّذِى سَلَكَ أَمَامَهُ أَبَوَاى إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحقُ، اللهَ الَّذِى رَعَانِى مُنْذُ وُجُودِى إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، ١٦الْمَلاَكَ الَّذِى أَنْقَذَنِى مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ، وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِى وَاسْمَا أَبَوَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ، وَلْيَكْثُرَا كَثِيراً فِى الأَرْضِ».

١٧وَعِنْدَمَا رَأَى يُوسُفُ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ سَاءَهُ ذَلِكَ، فَأَمْسَكَ بِيَدِ أَبِيهِ لِيَنْقُلَهَا مِنْ رَأْسِ أَفْرَايِمَ إِلَى رَأْسِ مَنَسَّى. ١٨وَقَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ: «لَيْسَ هَكَذَا يَاأَبِى. فَهَذَا هُوَ الْبِكْرُ، ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى رَأْسِهِ». ١٩فَأَبَى أَبُوهُ وَقَالَ: «أَنَا أَعْرِفُ هَذَا يَابْنِى، أَنَا أَعْرِفُ هَذَا، فَإِنَّهُ أَيْضاً يُصْبِحُ أُمَّةً عَظِيمَةً، وَلَكِنَّ أَخَاهُ الصَّغِيرَ يُصْبِحُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَذُرِّيَّتَهُ تَصِيرُ جُمْهُوراً مِنَ الأُمَمِ». ٢٠وَبَارَكَهُمَا فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: « بِكَ يُبَارِكُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: «لِيَجْعَلْكَ اللهُ مِثْلَ أَفْرَايِمَ وَمِثْلَ مَنَسَّى». وَهَكَذَا قَدَّمَ أَفْرَايِمَ عَلَى مَنَسَّى[1].

ولا أجد فى الحقيقة تفسيرا لمسلك سيِّدنا يعقوب ﷺ ـ ولا شكَّ أنَّه لم يحدث شىء من هذا فى الواقع ـ فهذا المسلك مناقض للناموس، ومناقض لسلوك نبى ملهم؛ وليس هناك أىُّ مبرر لإعطاء البركة للابن الأصغر دون الأكبر، إلاَّ إذا كان مؤلف السفر يريد التنويع والابتكار وإذهاب السأم والملل بشىء من التغيير والتسلية.

ـ وللإجابة عن السؤال الثالث نقول: يبدو الغرض واضحا من تقسيم السلالات البشرية إلى جماعات منحطة بالوراثة، وجماعات أخرى متفوِّقة بالوراثة أيضا:

---

(١) تكوين ٤٨: ٨ ـ ٢٠.

فالساميُّون سادة العالم، ومنهم اليهود شعب الله المختار بزعمهم وأبناء يافث عون لهم، وأمَّا أبناء حام فهم ملعونون، عبيد، بدعوة سيِّدنا نوح ﷺ، ويَرْوُون فى ذلك نصا قبيحًا؛ فيزعمون أنَّ سيِّدنا نوحا ﷺ بعد أنْ انتهى الطوفان، واستقر على الأرض "٢٠ وَاشْتَغَلَ نُوحٌ بِالْفَلاحَةِ وَغَرَسَ كَرْماً، ٢١ وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَيْمَتِهِ، ٢٢ فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ عُرْى أَبِيهِ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا خَارِجاً. ٢٣ فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ رِدَاءً وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا، وَمَشَيَا الْقَهْقَرَى إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ، وَسَتَرَا عُرْى أَبِيهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَدِيرَا بِوَجْهَيْهِمَا نَحْوَهُ فَيُبْصِرَا عُرْيَهُ. ٢٤ وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ ٢٥ قَالَ: «لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُوناً، وَلْيَكُنْ عَبْدَ الْعَبِيدِ لإِخْوَتِهِ». ٢٦ ثُمَّ قَالَ: «تَبَارَكَ اللهُ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ. ٢٧ لِيُوْسِعِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِى خِيَامِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ»[1].

لو تجاوزنا عمَّا فى هذه الحكاية من سوء الأدب، وفساد الطويَّة، والتطاول على نبى الله سيِّدنا نوح ﷺ؛ باتهامه بالسكر ومعاقرة الخمر، وبانكشاف عورته على ولده ـ ومعاذ الله أنْ يفعل ذلك ـ أقول لو تجاوزنا عن ذلك السخف فأرجو أنْ تقول لنا أيُّها القارئ الكريم: ما رأيك فى هذه الرواية الظريفة، والمشهد التمثيلى الساذج ؟ هل لك أنْ تتصوَّر كيف أنَّ سامًا ويافثَ قد سارا إلى الوراء دون أنْ ينظرا إلى مواطئ أقدامهما؛ ليسترا عورة أبيهما ؟ ولا أعرف كيف يسير الإنسان متجهًا إلى الوراء وهو ينظر إلى الأمام، وجرِّب ذلك بنفسك، وقل لنا: أذلك السلوك فى استطاعة البشر إلاَّ إذا كان لهذين الرجلين عيونا فى قفاهما ؟ وفى هذه الحال فلا شكَّ أنَّهما رأيا عورة أبيهما كما رآها الابن الأصغر، ثمَّ كيف يدعو نبى الله على ابنه بالعبودية لأخويه، وهو يعلم أنَّ العبوديَّة لا تكون إلاَّ لله وحده ؟ وكيف يدعو على طفل صغير غير مدرك لما يفعل ؟ وكيف يلوم طفلا بريئا وهو لم يستح من كشف عورته هو، وهو النبى الرشيد ؟

---

(١) تكوين ٩: ٢٠ ـ ٢٧.

وقبل أنْ نقدِّم نماذج متعدِّدة لخلط اليهود فى الأنساب، لابدَّ من توضيح ثلاثة الأمور الآتية:

الأمر الأول: هل العبرانيون، والإسرائيليون، وقوم موسى، واليهود شعب واحد ؟

والأمر الثانى: ما المقصود بمصطلحى " إسرائيل، وبنى إسرائيل " فى أسفار اليهود، وفى القرآن الكريم ؟

والأمر الثالث: ما الأسباب الَّتى دفعت اليهود إلى خلط الأنساب ؟

بالنسبة للأمر الأوَّل: من المؤكَّد أنَّ المصطلحات الأربعة " العبرانيون، والإسرائيليون، وقوم موسى، واليهود " تدل على أربعة أقوام مختلفة، لا رابط بينها؛ فلا يجمعها عرق، أو عصر، أو تاريخ مشترك، أو وطن، أو عقيدة، وإليك توضيح هذه الحقيقة الَّتى يحاول اليهود إخفاءها بكل وسائلهم الخادعة:

العبرانيَّون: لم يرد مصطلح " عبرى أوعبرانى " فى القرآن الكريم أبدًا، وهو أقدم المصطلحات الأربعة، وأوَّلها ظهورا فى التاريخ، بل إنَّ إطلاق مصطلح " عبرى " على اليهود لا أصل له، ولم يكن له هذه الدلالة من قبل، ولم يطلق عليهم إلاَّ متأخرا جدًّا، وكان ذلك فى القرن الخامس عشر الميلادى[1]؛ بل إنَّ الأسفار اليهوديَّة تتحدَّث عن العبرانيين بصفتهم غرباء عن اليهود، وليسوا منهم[2]، ويعترف جورج بوست ـ صاحب كتاب " قاموس الكتاب المقدَّس " الطبعة الأولى ـ أنَّ لقب عبرانى الَّذى كانوا يلقِّبون به سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لم يقصد به الإسرائيلى أو اليهودى، وإنَّما يمكن تأويله ـ على حدِّ تعبيره ـ بإبراهيم السائح أو المهاجر[3]، وهو لقب كما ترى يعبِّر عن حالة اجتماعية، ولا يدلُّ على جنس خاص، أو عرق بعينه.

ويرى البعض أنَّ كلمة عبرى هى ذاتها كلمة عربى، وقد حدث فى اللفظ نقل

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٥٤٥.
(٢) المصدر السابق ٥٤٢.
(٣) نفسه ٥٥١.

مكانى[1]، والنقل المكانى كثير جدا، ومعروف فى علم الصرف، فالعرب تقول: أَيِسَ، ويَئِسَ ـ وجَذَبَ، وجَبَذَ ـ وقَبَّط وقطَّب ـ ونَبَزَ باللقب ونَزَبَ ـ وقَاعَ وقَعَا ـ وبَالَ وبَلاَ...

ومن المؤرخين اليهود والمتهوِّدين مَنْ ينسبهم إلى عابر، وهو من الأسماء الَّتى ترد فى الأسفار اليهودية من حفدة سام بن نوح ﷺ (٢٢ أَمَّا أَبْنَاءُ سَامٍ فَهُمْ: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ ٢٣ وَأَبْنَاءُ أَرَامَ: عُوصُ، وَحُولُ، وَجَاثَرُ وَمَاشُ. ٢٤ وَأَنْجَبَ أَرْفَكْشَادُ شَالَحَ، وَوَلَدَ شَالَحُ عَابِرَ)[2].

ومن المؤرخين من ربط بينهم باعتبارهم العابيرو، وبين " عابير أبو " فى النصوص البابليَّة[3].

ويرى البعض أنَّ كلمة " عبرى " مشتقَّة لغويًّا من جذر " عَبَرَ "؛ ويكون العبرانيُّون بالتالى شعبا عبر حدًّا معيَّنا قد يكون جبلا أو نهرًا، وإنْ صحَّ هذا الرأى فإنَّ الحاجز الَّذى جرى عبوره لا يمكن تحديده، ويحتمل أنْ يكون هو نهر الفرات، أو نهر الأردن، أو أىَّ نهر أو جبل، أو حاجز طبيعى فى المنطقة العربية[4].

ويرى الدكتور كمال صليبى أنَّ لفظة " عبر " يمكن قراءتها بالغين المعجمة، بدلا من العين المهملة، و" الغَبَر " فى العربية جمع الغَبَرَة، وهى الأرض الكثيرة الشجر والنبت، ويكون العبرانيُّون بالتالى هم أهل الغبر أو " أهل الأحراش "[5].

وقد عُرِف العبرانيُّون بأسماء متعدِّدة فى التاريخ، منها:

١ ـ الخبيرو، أو الهبيرو، أو العبيرو، أو الأبيرو، أو العابيرو (Habiru أ Habiri)

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٥٤٨، ومعجم الحضارات السامية ٥٨٣.

(٢) تكوين ١٠: ٢٢ ـ ٢٤.

(٣) المحيط الجامع ٧٩٦.

(٤) معجم الحضارات السامية ٥٨٣.

(٥) نفسه، والَّذى فى لسان العرب أنَّ " الغَبْرَاء والْغَبَرَة: أرض كثيرة الشجر " ولم أجد لها جمعا فى المعجم كما زعم كمال صليبة، انظر: لسان العرب " غبر " ٥ / ٦، ويبدو لى أنَّه قاس اللفظ على مثل قولهم: بَلَح وبَلَحَة، ووَرَق ووَرَقَة.

وهى كلمة عروبية الأصل، ومعناها فى العبرية والسريانية " الصديق " أو " الجماعة المتآلفة "، ثمَّ أصبحت تعنى أخلاطا من السفلة وخُشَارَة الناس، وكانت تطلق على القبائل العربية الرحل الَّتى كانت تجوب بلاد الرافدين والجزء الشمالى من جزيرة العرب[1].

ولا نكاد نجد اتفاقا بين العلماء على كيفية النطق باسمهم؛ ولا يعرف العلماء أصل هذا الاسم من أين جاء، ولا معناه ماذا يكون، وتضافرت عوامل يهودية كثيرة لتشويه الحقائق، وبثّ البلبلة، والخلط بين المفاهيم والتواريخ؛ ليثبتوا لأنفسم أصلا وتاريخا لا حقيقة لهما.

وفى رسائل تلِّ العمارنة أطلق هذا اللفظ على واحد من الجماعات السامية فى شرق البحر الأبيض المتوسط، وهى جماعات مشرّدة تعاونت مع المتمردين ضد فراعنة مصر فى سنة ١٣٦٧ ق.م. فوجّه " عبد ـ خِيبا " تابع فرعون فى أورشليم إلى إخناتون ست رسائل يعبّر فيها عن ولائه للفرعون، ويطلب المساعدة ضد الخبيرو الذين استولوا على شكيم " نابلس " ويهددونه فى مملكته[2].

وانقسم العلماء فريقين فى تفسير هذا اللفظ:

الفريق الأول: يرجِّح أنَّ الخبيرو هم " اليهود "؛ والمعروف أنّ اليهود يُطْلَق عليهم العبرانيُّون (Hébreux) وتقارب اللفظين فى النطق ليس من سبيل المصادفة المحضة، ومما يرجِّح هذا الظنَّ هو تطابق تاريخهم الأول مع ما عرف عن هذه الجماعة من سفلة الناس، فمصادر تاريخ الخبيرو ومصادر تاريخ اليهود تكاد تجمع على أربعة أمور، هى:

١ ـ تكوّنهم من أخلاط مختلفة، وأنّهم يمثِّلون الطبقة الدنيا.

٢ ـ منشؤهم جنوب بلاد الرافدين، وشمالى الجزيرة العربية.

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ١٠٣ و١٦١، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ١٧٣، ومن الساميين إلى العرب ١٤.

(٢) العرب واليهود فى التارخ ٥٥٢.

٣ ـ كانوا يعيشون على خدمة الآخرين، والعمل كجنود مرتزقة أو يعملون فى الزراعة، والصناعة، وغيرهما من المهن.

٤ ـ لا وطن لهم، ولا خلاق لهم؛ فهم يرتحلون من مكان إلى آخر، ويعيشون على الإغارة والسلب [١].

وتدل وثائق نوزى (Nouzi)[٢]، الّتى يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ق.م. بأنّهم يرضون العبودية لأنفسم باختيارهم، ويعيشون أذلاّء[٣].

ولهذه الأسباب ترجّح كون الخبيرو هم اليهود[٤].

والفريق الآخر: ذهب بعض العلماء إلى أنَّ الخبيرو ليسوا هم اليهود اعتمادا على علم اللغة؛ وحجتّهم أنَّ كلمة الخبيرو تظهر " فى المدونات المصرية من حوالى ١٣٠٠ ـ ١١٥٠ ق.م. بشكل عبيرو (Epiru) (بحرف P) مما يثير الشك فى صحة المعادلة بين الخبيرو، والعبرانيين " [٥].

وهذه الحجَّة من التهافت بحيث لا تستحق الرد عليها؛ فهناك إجماع بين علماء اللغات على أنّنا لا نعرف يقينا كيف كان القدماء ينطقون بلغاتهم تلك المندثرة، بل إنَّ حرف " الباء المهموسة " P " بوجه خاص تعرَّض لكثير من التغييرات الصوتية التاريخية، فتحوّل من السامية الأم فى الشمال (العبرية، والآرامية، والأكادية) إلى الفاء فى اللغات السامية الجنوبية (العربية، والحبشية) ومعروف أنَّ اللغة المصرية القديمة تتشابه إلى حد كبير مع ما أسموه اللغات السامية[٦]؛ مما جعل بعض الباحثين فى اللغات يعتبر اللغات السامية والحامية مجموعة واحدة، يطلقون عليها:

---

(١) راجع: الاستيطان الفرنجى ١٧٩ ـ ١٨٥.

(٢) نوزى: مدينة قديمة، فى أعالى دجلة، فى جنوبى غربى كَرَكوك، فى شمالى العراق، كان اسمها القديم " جاسور "، ازدهرت تحت الحكم الحورى فى القرن الخامس عشر ق.م. انظر: معجم الحضارات السامية ٧٦٥.

(٣) تاريخ سورية ١ / ١٧٢.

(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٢٣.

(٥) التطور اللغوى ٢٤.

(٦) الفلسفة اللغوية ٢٠ ح ١.

" الحامية ـ السامية "[1]، وفى الوقت نفسه " تدلُّنا الملاحظة على أنَّه من المحتمل جدًّا أنْ يوجد نطقان مختلفان، أحدهما جديد والآخر تقليدى محافظ ـ أو أكثر ـ يتعايشان سويًّا لسنوات كثيرة، قد تصل أحيانا إلى عدّة قرون "[2]، فهل يمكن أنْ ننكر الأدلة التاريخية التى ترجح كون اليهود هم الخبيرو جريا وراء افتراضات لغوية، لا أساس لها ؟.

ويؤكد علماء الأنثروبولوجيا الطبيعيَّة أنَّ اللغويَّات التاريخيَّة لا يمكنها حسم الأصل العرقى والسلالى لجماعة من الناس؛ لأنَّه " لا يوجد بالضرورة تلازم بين اللغة والعرق، ولدينا حالات كثيرة معروفة لجماعات سلاليَّة بدَّلت بأسرها لغاتها عبر الزمن، ولذا فنحن لسنا على يقين من أنَّ جماعات تكون متقاربة عرقيًّا لأنَّها ببساطة متقاربة لغويًّا "[3].

ومن المؤكَّد أنَّ تاريخ اليهود، ومقدّساتهم يجدان دائما من المؤرخين المسيحيين وصهاينتهم من يتولَّى "تعديلها" وفق رؤية خاصة، إلى الحدَّ الذى يدّعى فيه أحد المسيحيين " أنَّ هنالك إجماعا على استبعاد كون العبرانيين هم قبائل الخبيرو"[4].

ولا أعرف من أين أتى بهذا الإجماع المزعوم ؟ فى الوقت الذى أشار فيه ـ هو نفسه ـ إلى أنَّ من العلماء من يذهب إلى أنَّ العبرانيين هم الخبيرو[5].

٢ ـ أخلامو: من المعروف أنَّ الآراميين جملة عشائر وقبائل كان من بينهم فرع عرف باسم " أخلامو " ـ ومعناها: الأحلاف ـ وكانت تطلق على جماعات البدو الرحل فى شمالى الجزيرة العربية، ثم أصبح يطلق على جميع الآراميين،

---

(١) المصدر السابق ٢١ ح ١.
(٢) لغات البشر ٤٢.
(٣) الغجر ٣٩.
(٤) معجم الحضارات السامية ٥٨٣.
(٥) نفسه ٣٨٠.

ثم حُرِّفت الكلمة إلى عبرى وعبرانى، وصارت تطلق على أتباع موسى ﷺ بعد ظهورهم باعتبارهم من القبائل الرحل؛ لأنّهم لم يكونوا قد وجدوا بعد عندما كانت هذ الكلمة تستعمل لتعنى البدو الرحَّـل، أو المهاجـرين، أو العابرين؛ فإطلاق الاسم على أتباع سيِّدنا موسى ﷺ إطلاقًا لغويًّا لا عرقيًّا، كما كان يطلق على الرُّحَّل لفظ " السوتيو، أو السوتو "[1].

٣ ـ الساغاز: ويرى بعض العلماء أنَّ الخابيرو هم أنفسهم الساغاز (Sa - Gaz) وكانوا من المرتزقة فى الجيش الحثّى، وقد ورد اسمهم فى رسائل تل العمارنه، فقد كانوا يتعاونون مع عبد عشرتا، عامل مصر على بيت المقدس، وقد جاء الاسم فى إحدى رسائله إلى فرعون مصر إخناتون[2].

ويعترف اليهود أنَّهم كانوا طائفة محتقرة عند المصريين؛ فعندما قدم إخوة يوسف إليه فى مصر، ودعاهم إلى الطعام " ٣٢فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ مَعَهُ وَحْدَهُمْ، إِذْ أَنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ عِنْدَهُمْ. "[3].

وهذه الأدلَّة تبيِّن أنَّ موطن هذه الأخلاط من البدو العبرانيين بادية الشام، وبلاد الرافدين، ووقت ظهورهم قبيل الألف الثانية قبل الميلاد، وكانت لغتهم هى اللغة العربية الأم، وعقيدتهم وثنية، وحياتهم التنقل والترحال.

الإسرائيليُّون: يزعم اليهود وصهاينة المسيحيين ومن يدور فى فلكهم أنَّ الإسرائيليين هم أبناء سيِّدنا يعقوب ﷺ، ونحن لا نلقى بالاً إلى ما جاء فى الأسفار اليهودية من كفر وضلال وافتراء على الخالق ﷻ من مثل قولهم: (هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنِي الْبِكْرُ.)[4]، وفى الحقيقة حيَّرنا هؤلاء القوم الَّذين ضلُّوا

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ١٦١ ـ ١٦٢.
(٢) تاريخ سورية ١ / ٨٠.
(٣) تكوين ٤٣: ٣٢.
(٤) خروج ٤: ٢٢.

السبيل، ويريدون أنْ يضلُّونا مثلهم، وأنْ يفسدوا علينا عقولنا وعقيدتنا؛ فإذا كان إسرائيل هو ابن الله البكر، فهل المقصود بإسرائيل هنا سيِّدنا يعقوب ؟ وهل يكون إسحاق ـ والد يعقوب ـ هو الله ؟ أو أنَّ المقصود بالبنوَّة هنا البنوَّة الروحانيَّة والعقديَّة ؟ ولماذا لم يحترم إسرائيل أباه حين لقيه عند مَخَاضَةَ يَبُّوقَ، فظل ليلة كاملة يضربه، ويؤذيه ؟[1].

وكيف يتسق هذا الزعم مع ادِّعاء المسيحيين أنَّ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام هو ابن الله الأوحد ؟ ورحم الله الشيخ أحمد ديدات الَّذى هَدَتْه دراساته فى مقارنة الرسالات السماويَّة إلى أنَّ كتاب اليهود والنصارى الدينى ـ ولا أسميَّه المقدَّس ـ به آلاف من " أبناء الله "، وزعم أنَّ كلمة " أبناء " فى اللسان العبرى تأتى بمعنى " الرسل والأنبياء " فهو تعبير وصفى مجازى شاع استعماله فيما بين اليهود[2] ولا أدرى من أين جاء الشيخ ديدات بهذا التأويل الَّذى لا يتَّفق مع أكثر النصوص الَّتى استشهد بها، وكيف نقبل هذا التأويل فى الوقت الَّذى شدَّد فيه القرآن الكريم النكير على من يتجرَّأ على الحق ﷻ، ويقول مثل هذا القول السخيف: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[3].

وفرَّق الشيخ أحمد ديدات بين البنوَّة الكثيرة عند اليهود وابن الله عند المسيحيين؛ فالمسيحيون يقولون: إنَّ المسيح بن الله، بمعنى أنَّه " مولود غير منوع Begotten not made "، ويقول ديدات عن هذه المقولة:

---

(١) تكوين ٣٢: ٢٣ ـ ٣٠.

(٢) المسيح فى الإسلام " مكتبة ديدات " ١ / ١٢٥.

(٣) سورة مريم ١٩: ٨٨ ـ ٩٣.

"لم يجرؤ على تفسيرها سوى أحد الأمريكيين، قال: " إنَّها تعنى أنَّ الله أنجبه ". فصرخت: ماذا تقول: الله أنجبه ؟ فقال: " لا، لا، إنَّنى أحاول فقط تفسير المعنى، إنَّنى لا أؤمن أنَّ الله أنجب ولدا حقّا "[1]، وإذ كانوا لايؤمنون بما تعنيه الكلمة حرفيّا، فماذا يعنون ؟ لقد استحقُّوا الوصف الَّذى وصفهم به أنهم حمقى.

وإذا كان المسيحيُّون قد تصوَّروا أنَّهم بعبارتهم تلك الحمقاء قد فرَّقوا بين بنوة "ربِّهم" وبين أبناء الله الكثير فى أسفار اليهود لمجرَّد ذكر "مولود" فهم واهمون ضالُّون؛ فاليهود ذكروا أيضا هذا اللفظ على لسان داود، قال: " ٧ وَهَا أَنَا أُعْلِنُ مَا قَضَى بِهِ الرَّبُّ: قَالَ لِي الرَّبُّ: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. ٨ اطْلُبْ مِنِّي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ. "[2]، وعندما عجز المسيحيون عن تفسير اللفظ، وخجلوا من أنفسهم ومن كذبهم على الله فقد حذفوا هذه الكلمة من النسخة القياسية المنقَّحة لكتابهم الدينى The Revised Standard Version والَّتى وصفتها الكنيسة فى إنجلترا بأنَّها أروع نسخة ـ أو ترجمة ـ تمَّ إنتاجها فى القرن الحالى، وذلك لاعتمادها على المخطوطات الأكثر قدما، والَّتى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى[3].

وبالبحث فى المصادر الدينية والتاريخيَّة عن معنى كلمة "إسرائيل" تبيَّن لنا الآتى:

إسرائيل أو يسرائيل: كلمة عروبية قديمة أجمع العلماء على أنَّها غامضة المعنى، مجهولة الأصل، ظهرت لأوَّل مرَّة فى الكتابات المصريَّة القديمة فى عهد الملك مرنفتاح فى سنة ١٢٣٠ ق.م. باعتباره اسما لواحدة من المدن فى جنوب فلسطين، أو ربَّما كانت اسما لبطن من بطون القبائل فى جنوبى

أرض كنعان؛ وهذا يدلُّ على أنَّ كلمة إسرائيل كلمة كنعانية (عروبية الأصل) ترجع إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد، وكانت تحظى بقدسيَّة روحانيَّة خاصَّة

---

(١) المسيح فى الإسلام " مكتبة ديدات " ١ / ١٢٦.

(٢) مزامير ٢: ٧ ـ ٨.

(٣) المسيح فى الإسلام " مكتبة ديدات " ١ / ١٢٦ ح / ١.

بين سكَّان المنطقة فى ذلك الوقت، ونص العبارات الَّتى جاءت على لوح مرنفتاح هى:

لقد غُلِب الملوك، وقالوا: " سلامًا ".

وخُرِّبت تحينو.

وهُدِّئت أرض الحثيين.

وانتهت كنعان، وحلَّت بها كل الشرور.

وخُرِّبت إسرائيل، ولم يعد لأبنائها وجود.

وأضحت فلسطين أرملة لمصر.

وضُمَّت كل البلاد، وهُدِّئت.

وكل من كان ثائرًا قيَّده الملك مرنفتاح[١].

وهناك نظريَّة تذهب إلى أنَّها كانت اسمَ بطنٍ من بطون القبائل العبرانية، ونحن نصحح هذه النظريَّـة بشرط أنْ يكون المعنى المقصود بالعبرانيين هنا هم القبائل الرحَّل فى بادية الشام، والَّذين ظهروا فى هذا الوقت على مسرح الأحداث فى فلسطين، ولا يمتُّون بصلة إلى من عُرِفُوا فيما بعد باسم اليهود[٢].

وتذكر المصادر التاريخية لكلمة " إسرائيل " معانِيَ كثيرة، منها:

١ ـ غَالِبُ الإله، أو مجاهد الإله، وتروى الأسفار اليهوديَّة رواية مضحكة لهذه التسمية العجيبة[٣]، ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيرى أنَّه يمكن تقسيم الكلمة إلى:"يسرا " أى الَّذى يحترب أو يصارع ـ و" إيل " هو الأصل العروبى لكلمة " إله " والكلمة تعنى حرفيًّا " الَّذى يصارع الإله "، أو "جندى الإله إيل "، وفى كل التفسيرات معنيان أساسيَّن هما معنى الصراع والحرب، ومعنى القداسة[٤].

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٢٤.

(٢) الموسوعة اليهودية والصهيونية، د / عبد الوهاب المسيرى، مدخل " يسرائيل " الباب الرابع، المجلد الثانى، الجزء الثانى، مسجلة على قرص مضغوط C D.

(٣) تكوين ٣٢: ٢٣ ـ ٣٠.

(٤) الموسوعة اليهودية الصهيونية "، مدخل "يسرائيل ".

٢ ـ عبد الإله " إيل " الإله الواحد العلى العظيم الَّذى دعا سيِّدنا إبراهيم الخليل إلى عبادته، وكان اسمًا لحاكم دمشق من قبل سيِّدنا إبراهيم[١].

٣ ـ الكلمة بالعبرية هى " Yisrē -'ēl "، ومعناها: ليحكم " إيل "،أو " إيل " يحكم[٢].

٤ ـ يرى شارح السفر ـ فى طبعة بيروت ـ أنَّ المؤلف يستعمل قصَّة قديمة لتفسير اسم فنوئيل " بنى إيل " (وجه الله)، لإيجاد أصل لاسم إسرائيل بمعنى لِيَقْوَ على الله[٣].

٥ ـ وزعم ول ديورنت أنَّ معنى " إسرائيل " المدافع عن الله !!![٤].

٦ ـ وأمَّا الخورى بولس الفغالى فيذكر للفظ " إسرائيل المعانى التالية "

أ ـ قَوِىَ ضد الله.

ب ـ ليملك الله، وليكن السيِّد؛ من الفعل " سَرى " بمعنى ملك إسرائيل.

جـ ـ الله يلمع، يضىء.

د ـ هو الاسم الشعرى " يشوروم "، ومعناه " المستقيمون "، وهو فى الأكادية " ياسور إيل، أو ييسير إيل "[٥].

٧ ـ وجد نص فى مخطوطات بحر الميت (وادى قمران) يشير إلى استعمال كلمة إسرائيل للدلالة على مدينة أورشليم، ولا نعرف ما إذا كانت هى المدينة المقصودة فى مدونات مرنفتاح، وتمَّ احتلالها فى زمنه، أو هى مدينة أخرى[٦].

وإذا تأملنا التفسيرات السابقة تأكَّد لنا أنَّ " الإسرائيليين " كان موطنهم الشام

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٨٧٢، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ١ / ص ١٧٢.
(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ١٩١.
(٣) الكتاب المقدس، طبع المطبعة الكاثوليكية. انظر: شرح السفر فى العهد القديم ١١٩.
(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٧١.
(٥) المحيط الجامع ٨٤.
(٦) العرب واليهود ٦١٠.

وفلسطين، وكان ظهورهم بعد العبرانيين ـ أو كانوا معاصرين لهم ـ وأنَّهم كانوا يعرفون رسالة سماوية قبل ظهور سيِّدنا موسى عليه السلام بقرون متعددة، وقبل أنْ يظهر مصطلح " يهود " فى التاريخ ويؤكِّد الدكتور عبد الوهاب المسيرى أنَّه لا يوجد أى ترادف بين المصطلحين " إسرائيلى، ويهودى " بل إنَّ هناك إسرائيليين كثيرين يرفضون اليهودية(١).

قوم موسى: هم المصريون الَّذين آمنوا برسالة سيِّدنا موسى عليه السلام، وخرجوا معه من مصر فرارا بدينهم من بطش فرعون، وترجع أصولهم إلى أعراق متعدِّدة هى الَّتى تكوَّن منها شعب مصر على طول تاريخه، بما فيهم المنحدرون من سلالة سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام والممتزجون بالمصريين، والأسفار اليهودية تعترف صراحة بذلك (٤ وَاشْتَهَى أَخْلاَطُ الأُمَمِ الْمُقِيمِينَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ، مِمَّنْ خَرَجُوا مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، طَعَامَ مِصْرَ)(٢)، والقرآن الكريم أكَّد هذه الحقيقة؛ فقد أرسل فرعون فى جميع مدائن مصر حاشرين، ليأتوه بكل سحَّار عليم، وجُمِعَ السحرة لميقات يوم معلوم، جمعوا فى يوم الزينة، وتبيَّن لهم أنَّ ما شاهدوه من معجزات سيِّدنا موسى عليه السلام ليس سحرا، فآمنوا برب موسى وهارون، ومن الواضح أنَّ هؤلاء السحرة كانوا جميعهم من المصريين(٣).

اليهود: يرى أكثر الباحثين من الصهاينة ومَنِ انخدع بهم أنَّ تسمية "يهود" منسوبة إلى "يهوذا " أحد أبناء سيِّدنا يعقوب عليه السلام، وهذه النسبة تخالف الواقع والتاريخ؛ فلم يكن لليهود وجود فى ذلك الوقت، بل كان ظهورهم بعد عهد يعقوب عليه السلام بأكثر من ألف عام؛ لأنَّهم لم يظهروا إلاَّ بعد نزوح سيِّدنا موسى عليه السلام وجماعته إلى أرض كنعان بستمائة عام، وتشير كتابات اليهود إلى أنَّ سيِّدنا موسى عليه السلام مات فى سيناء، ومات قبله أخوه هارون عليه السلام، ومات أيضًا جميع القوم الَّذين خرجوا

---

(١) الموسوعة اليهودية الصهيونية "، مدخل " يسرائيل ".

(٢) عدد ١١: ٤.

(٣) راجع الآيات الكريمة، وتفسيرها فى فصل " رسالة موسى عليه السلام ".

معهما من مصر خلال سنوات التيه الَّتى دامت أربعين سنة، وقاد يوشع بن نون ـ غلام سيِّدنا موسى ـ ذرِّية هؤلاء القوم إلى أرض فلسطين[١].

ويرجِّح العلماء أنَّ مصطلح " يهود " يمكن إرجاعه إلى واحد من التفسيرات الآتية:

١ ـ استقرت جماعة من قوم موسى فى المنطقة المعروفة باسم "يهوذا " الَّتى تحمل الاسم الكنعانى القديم، وتقع فى القسم الجنوبى من فلسطين، بين البحر الميت والبحر الأبيض المتوسط[٢]، وفيها تأسست واحدة من المملكتين اللَّتين انقسمت إليهما مملكة سيِّدنا سليمان ﷺ، ثم ذاع استعمال هذا الاسم بعد السبى البابلى نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، وقد وردت كلمة " يهودى " نسبة إلى تلك المملكة فى كتابات الملك الأشورى سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م.)[٣]، وتروى كتب الجغرافية العربية أنَّه لَمَّا أخرجت اليهود من بيت المقدس فى أيَّام بخت نصَّر وسيقوا إلى العراق، ونزلوا بموضع من أصبهان يقال له " بنجار "، فأقاموا فيه، وسمِّى المكان باسم اليهودية، كما سميت مدينة أصبهان العظمى نفسها باسم اليهودية[٤].

٢ ـ بعد رجوع بقايا اليهود من السبى نزلوا فى مقاطعة يهودا ـ وهى الجزء المتبقى من المملكة القديمة، ويسكن حولها أمم مجاورة كالأدوميين والعمونيين والعرب ـ والَّتى سُمِّيت فى اليونانية " يودايا " أى الأرض اليهوديَّة، أو أرض اليهود، وهو الاسم الهللَّينى والرومانى للمنطقة، وأوَّل من استعمل الكلمة كان " كلاباركَ " قائد الجيش اليونى حوالى سنة ٣٢٠ ق.م.[٥] وفى بدْء العصر المسيحى كانت القلَّة من اليهود الَّذين يعيشون فى " اليهوديَّة الصغيرة " يتكلَّمون اللغة اليهودية أى اللغة

---

(١) يشوع ١ : ١ ـ ٢.
(٢) معجم الحضارات السامية ٩٢٤.
(٣) العرب واليهود ٥٧٩.
(٤) معجم البلدان ٥ / ٤٥٤.
(٥) المحيط الجامع ١٤١٣.

الآرامية وكان أكثر اليهود يعيشون فى الشتات خارج أرض فلسطين، ويتكلَّمون اللغة اليونانية؛ ولهذا اتَّخذت كلمة " يهودى " معنى عرقيًّا ووطنيًّا[١].

٣ ـ يقول الدكتور عبد الوهاب المسيرى: يبدو أنَّ مصطلح " اليهودية " قد ظهر أثناء العصر الهيلينى للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم. وقد سك هذا المصطلح يوسيفوس فلافيوس ليشير إلى العقيدة التى يتبعها أولئك الذين يعيشون فى مقاطعة يهودا (مقابل «الهيلينية» أى عقيدة أهل هيلاس .Hellas وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين فى منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم). أما الأصل العبرى «يهدوت»، فيعود إلى العصور الوسطى[٢].

٤ ـ ويقول أيضا: " يُستخدَم مصطلح «يهودية» للإشارة إلى الجوانب التاريخية المتغيّرة وإلى تفاعُل اليهودية مع الحضارات الأخرى. ومن هنا، يمكن الحديث عن «اليهودية الحاخامية» و«اليهودية الهيلينية»... ويرى دارسو الدين اليهودى أنَّ إطلاق مصطلح «يهودية» على تلك المرحلة من تاريخ اليهودية التى تسبق تدوين العهد القديم يتضمن تناقضاً تاريخياً، فهى مرحلة سديمية لم تكن قد تشكلت فيها بعد معالم اليهودية، ولم يكن العبرانيون فيها قد صاروا يهوداً "[٣].

من معرفة تاريخ ظهور المصطلح " يهودى " يتأكَّد أنَّ هذا اللفظ لم يظهر إلى الوجود إلاَّ بعد السبى الكبير، والرجوع إلى أرض فلسطين، والإقامة بين الكنعانيين، وعبادة آلهتم، ولا يتطابق مدلوله مع مدلول المصطلحات الأخرى الَّتى هى: " العبرانيون، والإسرائيليون، وقوم موسى ".

بالنسبة للأمر الثانى: ما المقصود بمصطلحى " إسرائيل، وبنى إسرائيل " فى الأسفار اليهودية، وفى القرآن الكريم ؟

---

(١) المصدر السابق ١٤٠٨.

(٢) الموسوعة اليهودية الصهيونية "، مدخل " يهود ".

(٣) الموسوعة اليهودية الصهيونية "، مدخل " يهود ".

من تفسيرات المؤرخين السابقة لكلمة " إسرائيل " من مثل قولهم:

أ- عبد الإله " إيل ".

ب - ليملك الله، وليكن السيِّد.

جـ - هو الاسم الشعرى "يشوروم"، ومعناه "المستقيمون".

يحق لنا أنْ ندَّعى أنَّ كلمة " إسرائيل " تعنى: عبد الله، أو العبد المستقيم؛ وهى بهذا المفهوم وصف لكل من يدين بالدين السماوى الَّذى ارتضاه الله لعباده، وأنَّ مصطلح " بنى إسرائيل " تعنى: الأمَّة العالمة بدين الله، أو الأمَّة الَّتى بعث الله فيها النبيين، أو الأمَّة صاحبة الكتب والرسالات السماوية "، ولا علاقة لهذين المصطلحين بالعرق أو الجنس، واستعمال الأسفار اليهوديَّة هذين المصطلحين فى معنى "الجنس اليهودى" أو الشعب المختار، أو العبرانيين " استعمال خاطىء، وكذب، وادَّعاء باطل.

ومما يدلُّ على أنَّ هذين المصطلحين لا يدلاَّن على جنس أو عرق ما يأتى:

: و"اليهود "، " بنى إسرائيل ": استعمال القرآن الكريم لكلا المصطلحين:أولاً

يستخدم القرآن الكريم بعض الألفاظ فى مجالات خاصة، بمعنى معيَّن ولا يستخدم اللفظ فى ذات المعنى إلاَّ فى ذلك المجال الخاص الَّذى استعمله فيه من قبل؛ فمثلا:

❁ لا يستخدم القرآن الكريم كلمة " الريح " إلاَّ فى مجال الشر والعذاب وكثيرا ما يصفها بالريح العاصف، أو الريح العقيم أى المهلكة التى تقطع النسل، أو الريح الَّتى فيها صر " برد شديد "، أو ريح فيها عذاب أليم، ولا يستخدم كلمة " الرياح " إلاَّ فى مجال الخير؛ فهو يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته.

❁ وعلى هذا المنوال نفسه يستخدم القرآن الكريم لفظ " اليهود " فى مجال يخالف استخدامه كلمتى " إسرائيل، وبنى إسرائيل "، فقد ورد لفظ " اليهود " فى القرآن الكريم سبع مرات فقط، وكلها فى مجال الكفر، والشرك بالله، والخصام، والسب، والجدل، مقرونين بكفر النصارى فى ست منها:

أ ـ فقد جاء اللفظ مرتين فى سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2].

ب ـ وفى سورة المائدة جاء أربع مرات، قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾[3]، وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[6].

جـ ـ وفى سورة التوبة جاء مرَّة واحدة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا

---

(١) سورة البقرة ٢: ١١٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٢٠.

(٣) سورة المائدة ٥: ١٨.

(٤) سورة المائدة ٥: ٥١.

(٥) سورة المائدة ٥: ٦٤.

(٦) سورة المائدة ٥: ٨٢.

مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

أمَّا بنو إسرائيل فقد ذكروا فى القرآن الكريم ٤٤ مرَّة، وكلها فى مجال تذكيرهم بنعمة الله عليهم، وتفضيله لهم على العالمين بإيمانهم، ويذكِّرهم بأنَّه نجَّاهم من أعدائهم، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وأنزل عليهم الكتاب فيه هدى ونور، ويطالبهم الوفاء بالعهد، وتوحيد الله، ولكنَّهم قابلوا نعم الله عليهم بالكفر، والشرك به، وقتْل الأنبياء بغير الحق، وإخفاء كتاب الله، أو تبديله، ويخدعون جهَّالهم بضلالهم، ويتوعَّدهم القرآن الكريم بالعذاب الشديد جزاء كذبهم على الله ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2]، وإذا ترك بنو إسرائيل طاعة الله، وتخلَّوْا عن إيمانهم، كانوا كافرين ملعونين، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[3].

وهكذا نجد فى جميع الآيات الَّتى ورد فيها مصطلح "بنى إسرائيل" ـ إذا تتبعناها جميعها ـ ما يدلُّ على أنَّهم الأمة الَّتى بعث الله فيها نبيًّا من الأنبياء، وبَلَغَهَا كتاب الله ورسالاته أيًّا كانت الأعراق المكوِّنة لتلك الأمة، والموطن الَّذى تقيم فيه.

وثانيا: مفهوم النسب فى الدين:

كلمة النسب فى اللغة تعنى القرابة، وقيل: هو فى الآباء خاصَّة، وقيل النَّسب يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد، ويكون فى الصناعة، وفى المثل (القريب من تقرّب لا مَنْ تنسَّب)[4]، وواضح من الدلالة اللغوية للفظ أنَّه لا يعنى صلة الرحم فى

(١) سورة التوبة ٩: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) سورة البقرة ٢: ٧٨، ٧٩.
(٣) سورة المائدة ٥: ٧٨.
(٤) لسان العرب " نسب " ١ / ٧٥٥.

جميع الحالات، بل قد يكون النسب أو القرب مرتبطان بالوطن، أو البلد، أو الجنس، أو الصناعة، أو العقيدة، أو المذهب...

وكلمة النسب فى الدين تعنى " حبل الله " المتين، ورباط العقيدة الَّذى يوحِّد المؤمنين، ويجعلهم أسرة واحدة؛ فكلُّهم أخوة فى الله، فلا يؤمن أحدهم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه؛ فيكون النسب والقرابة بين مَنْ وحَّدت بينهم العقيدة، لا من جمعتهم صلة الرحم.

وقد صرَّح القرآن الكريم بهذا فى بعض المواقف منها:

○ عندما أمر الله ﷻ سيِّدنا نوحا عليه السلام بالركوب فى السفينة، هو ومن آمن معه، وعصا ابنه أمره، فكان من المغرقين، قال سيِّدنا نوح والألم يعتصر: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]، فالقرآن الكريم يوجِّه سيِّدنا نوح عليه السلام إلى أنَّ ابنه من صلبه يُسْقِطُ الكفر نسبه لأبيه، ويُثْبِتُ الإيمان له نسب المؤمنين به، فحملهم معه فى السفينة.

○ وعد الله ﷻ سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام بأنْ يجعله إماما للناس، وطلب سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام من ربَّه الإمامة لذريَّته فوعده ربَّه أنْ تكون الإمامة للصالحين منهم؛ لأنَّهم أهله، وأمَّا الظالم لنفسه فليس من أهله وإنْ كان من صلبه، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

وعلى هَدْى القرآن الكريم كانت أحاديث رسول الله ﷺ، فمن ذلك:

○ ما رواه الطبرانى، والحاكم، والقرطبى، والصفدى فى يوم الخندق،

---

(١) سورة هود ١١: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

قال رسول الله ﷺ عن الصحابي سيِّدنا سلمان الفارسي ﷺ: (سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ)[1].

○ وروى مسلم عن عائذ بن عمرو ﷺ: (أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وصُهَيْبٍ وبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَ تَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، أَغْضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا: لاَ، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي)[2] تدبَّر هذا التوجيه النبويَّ الكريم؛ فسلمان فارسي، وصهيب رومي، وبلال حبشي، وأبو بكر قرشي، وقد جمعت أخوَّة الإسلام بينهم.

○ روى البخاري (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ. فَقَالَ: أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ اللهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلاَلٌ)[3].

○ وفي حديث أُبَيٍّ أنَّه قال لعمر والعبَّاس، وقد استأذنا عليه: (إِنَّ كَنَّتَكُمَا كَانَتْ تُرَجِّلُنِي) والكَنَّة: امرأة الابن وامرأة الأخ، أراد: امرأته فسمَّاها كَنَّتَهُمَا؛ لأنَّه أخوهما في الإسلام[4].

○ وفي شرح قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾[5]، قال الإمام القرطبي: آل فرعون: قومه، وأتباعه، وأهل دينه، وكذلك آل الرسول ﷺ من هم على دينه وملَّته في آلاف الأفراد، وفي

---

(١) المعجم الكبير (الحديث ٦٠٤٠) ٦ / ٢١٢، والمستدرك على الصحيحين (الحديثان ٦٥٣٩، ٦٥٤١) ٣ / ٦٩١، وتفسير القرطبي " الجامع لأحكام القرآن " ٤ / ١٦٣، والوافي بالوفيات ١٥ / ٣٠٩.

(٢) صحيح مسلم ١٦ / ٦٦.

(٣) صحيح البخاري (الحديث ٤٧٩٣) ٥ / ١٨٥٤.

(٤) لسان العرب " كنن " ١٣ / ٣٦٢.

(٥) سورة البقرة ٢: ٤٩.

سائر العصور؛ ولأجل هذا إنَّ أبا لهب، وأبا جهل ليسا من آله، ولا من أهله، وإنْ كان بينهما وبين النبى ﷺ قرابة[1].

من ذلك يتبيَّن لنا أنَّ القرابة والنسب فى الإسلام هما رباط العقيدة والدين، لا عصبيَّة الأهل والولد، ونجد فيما ينسب للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام من أقوال ما يؤكِّد هذا الاتجاه، فمن ذلك:

○ ٤٦ وَبَيْنَمَا كَانَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ، إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجاً، يَطْلُبُونَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. ٤٧ فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ: «هَا إِنَّ أُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً يَطْلُبُونَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ!» ٤٨ فَأَجَابَ قَائِلاً لِلَّذِى أَخْبَرَهُ: «مَنْ هِى أُمِّي؟ وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» ٤٩ ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ: «هَؤُلاَءِ هُمْ أُمِّى وَإِخْوَتِى: ٥٠ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِى الَّذِى فِى السَّمَوَاتِ هُوَ أَخِى وَأُخْتِى وَأُمِّى!»[2].

○ ٣١ وَجَاءَ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ، فَوَقَفُوا خَارِجَ الْبَيْتِ وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَدْعُونَهُ. ٣٢ وَكَانَ قَدْ جَلَسَ حَوْلَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ، فَقَالُوا لَهُ: «هَا إِنَّ أُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ فِى الْخَارِجِ يَطْلُبُونَكَ!» ٣٣ فَأَجَابَهُمْ: «مَنْ أُمِّى وَإِخْوَتِى؟» ٣٤ ثُمَّ أَدَارَ نَظَرَهُ فِى الْجَالِسِينَ حَوْلَهُ وَقَالَ: «هَؤُلاَءِ هُمْ أُمِّى وَإِخْوَتِى، ٣٥ لأَنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ اللهِ هُوَ أَخِى وَأُخْتِى وَأُمِّي!»[3].

○ ١٩ وَجَاءَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ، وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ بِسَبَبِ الزِّحَامِ. ٢٠ فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ أُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً، يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْكَ!» ٢١ وَلكِنَّهُ أَجَابَهُمْ قَائِلاً: «أُمِّى وَإِخْوَتِى هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا»[4].

ويقول سيّد قطب:"ولأنَّ الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة الَّتى يتجمَّع عليها البشر هى الآصرة المستمدَّة من النفحة الإلهيَّة الكريمة

---

(١) تفسير القرطبى ١ / ٣٨١.

(٢) متى ١٢: ٤٦ ـ ٥٠.

(٣) مرقص ٣: ٣١ ـ ٣٥.

(٤) ١٣١ ـ لوقا ٨: ١٩ ـ ٢١.

جعلها آصرة العقيدة فى الله؛ فعقيدة المؤمن هى وطنه، وهى قومه، وهى أهله، ومن ثمَّ يتجمَّع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمَّع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج.

والمؤمن ذو نسب عريق ضارب فى شعاب الزمن، إنَّه واحد من ذلك الموكب الكريم الَّذى يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[1].

بالنسبة للأمر الثالث: ما الأسباب الَّتى دعت اليهود إلى خلط الأنساب ؟

تعمَّد اليهود الخلط بين الأنساب لتحقيق أغراض كثيرة منها:

أ ـ أنْ يخفوا أصلهم الوضيع باعتبارهم من خشارة الخلق، وحثالة المجتمعات القديمة الَّذين كانوا يعملون فيها خَدَمًا لسادتها، وجنودًا مرتزقة فى جيوشها، ولصوصًا وقطَّاعًا لطرقها، يعيشون على النهب والسلب إذا لم يجدوا من يبيعون له أنفسهم مقابل الأجر.

ب ـ أنْ يثبتوا لأنفسهم نسبًا شريفًا بانتمائهم لأقدس شخصيَّات ذلك العصر من ذوى المكانة الدينية الرفيعة فى نفوس الشعب العربى القاطن لتلك الديَّار المباركة.

جـ ـ تضليل الباحثين عن الحقيقة، وحجبها وراء ركام من الأساطير، والأكاذيب، والأقوال الملفَّقة، وإلباس الباطل ثوب الحق؛ فلا يهتدى إنسان إلى كشف زيفهم.

ومن الملاحظ أنَّ تصنيف الأسفار اليهوديَّة الأجناسَ البشريةَ لم يقم على رابطة عرقية أو لغوية؛ وقد جرت عادة اليهود أنْ ينسبوا أعداءهم إلى السلالة المنحطة "حام" وأمَّا إذا كان نسب الأعداء صريحا فى الساميَّة، بحيث لا يمكنهم إنكاره، فهم أولاد زنا، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) فى ظلال القرآن ١ / ٦، والآية الكريمة من سورة " المؤمنون " ٢٣ ـ ٥٢.

۞ المؤابيون وبنى عمُّون الَّذين ينحدرون من سلالة موآب، وبَنْ عَمِّى وهما ولدا زنا، كماجاء فى الرواية اليهوديَّة القذرة عن سيّدنا لوط ﷺ فاتهموه بأنَّه زنى بابنتيه، ولم يتفتَّق ذهن مؤلف السفر العبقرى عن سببٍ يعلل به عداء أبناء عمومتهم لهم إلاَّ أنْ يتهم نبيًّا طاهرا بارتكاب الفاحشة مع أقرب الناس إليه، وهو الَّذى ظل حياته كلَّها يكافح الزنا والفاحشة " ٣٦ وَهَكَذَا حَمَلَتْ الابْنَتَانِ كِلْتَاهُمَا مِنْ أَبِيهِمَا. ٣٧ فَوَلَدَتِ الْكُبْرَى ابْناً دَعَتْهُ مُوآبَ (وَمَعْنَاهُ مِنَ الأَبِ)، وَهُوَ أَبُو المُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ، ٣٨ أَمَّا الصُّغْرَى فَوَلَدَتِ ابْناً وَدَعَتْهُ «بَنْ عَمِّي) (وَمَعْنَاهُ ابْنُ قَوْمِي) وَهُوَ أَبُو بَنِى عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. "[1]؛ ولكى يخفى جريمته ادَّعى أنَّ المؤابيين والعمونيين مطرودون من رحمة الله، ومن الجماعة لسبب آخر، وهو أنَّهم لم يقدِّموا لهم خبزا !!!، وطلبوا من واحد من أنبيائهم الدعاء عليهم كما جاء فى سفر التثنية: " ٣ لاَ يَدْخُلْ عَمُّونِى وَلاَ مُوآبِى فِى جَمَاعَةِ الرَّبِّ، وَلاَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ حَتَّى بَعْدَ الْجِيلِ الْعَاشِرِ فِى جَمَاعَةِ الرَّبِّ وَإِلَى الأَبَدِ، ٤ لأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَقْبِلُوكُمْ بِالْخُبْزِ وَالْمَاءِ فِى الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلأَنَّهُمُ اسْتَأْجَرُوا بَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ مِنْ فَتُورِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ لِيَلْعَنَكُمْ "[2].

۞ والمجدِّف الَّذى رُجِمَ كانت أمه من قوم موسى وأبوه مصرى[3].

وهذه أمثلة للخلط فى الأنساب، والأقدار، وتقسيمها بحسب الهوى:

○ الكنعانيُّون[4]، ينسبونهم تارة إلى سام، وينسبونهم تارة أخرى إلى حام، ومن المعلوم أنَّ الكنعانيِّين هجرة عربيَّة واسعة انتقلت إلى الشام وفلسطين من قلب

---

(١) تكوين ١٩: ٣١ ـ ٣٨.

(٢) تثنية ٢٣: ٣ ـ ٤.

(٣) لاويين ٢٤: ١٠.

(٤) الكنعانيون (Chananéens نسبة إلى Canaan) جماعات عربية سامية كثيرة انتشرت فى لبنان، وفلسطين، وسورية وعرفت هذه البلاد باسم " أرض كنعان " كما ذهب بعضهم إلى العراق، ومصر، ومن بطونهم: العموريون، واليبوسيون، والفينيقيون، والآراميون، والفرزيون، والعمونيون، والعماليق، والفلسطينيون.. وغيرهم، وعادة ما يخلط المؤرخون بين تلك البطون؛ فيطلقون أسماء بعضها على البعض الآخر. انظر: لكى لا ننسى فلسطين ٢٠ ـ ٢٨، وانظر: La Bible " mythe et réalités " ٦٣ و Nouveau Petit LAROUSSE , p١٢٧٢.

الجزيرة العربية، واستوطنت تلك البلاد وأصبحوا هم سكَّانها الأصليين، وصبَّ اليهود جام حقدهم الأسود عليهم[١]؛ ويرى بروكلمان أنَّ سبب ذلك العداء للكنعانيين هو الحروب الَّتى نشبت بين الطرفين، ودَوَّنَ اليهود أخبارها فى أسفارهم، فحملهم عداؤهم لهم وحقدهم عليهم على التنصل منهم، وعلى التبرؤ من إلحاق نسبهم بشجرة أنساب سام بن نوح[٢].

○ أخرج اليهود سيِّدنا إسماعيل من النسب لأنَّ أمَّه مصرية[٣].

○ كما أخرجوا عيسُو لأنَّه تزوَّج من كنعانيَّة، وأنجب منها[٤].

○ تعمَّد مدوِّنوا الأسفار اليهوديَّة اعتبار اللوديين والعيلاميين من الساميين وهم ـ فى الحقيقة ـ ليسوا منهم، كما استبعدوا الكنعانيين والفينيقيين وهم العرب الساميُّون الأصلاء أهل البلاد، وذلك بسبب العداء الشديد لهم، فعدُّوهم من الكوشيين[٥].

○ واعتبروا الحثيين من ذريَّة كنعان، وهم من الأقوام الهندية الأوربية كما اعتبروا العموريين من صلب حام، وهم ساميُّون[٦].

○ نسبوا فرعون مرَّة إلى الساميين، ومرَّة أخرى إلى الحاميين؛ يقول الطبرى: "إنَّ اسم فرعون موسى " قابوس " ـ فى قول أل الكتاب ـ وقال وهب: اسمه الولد بن معب بن الريَّان، ويكنى أبا مرَّة، وهو من بنى عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وقال السهيلى: وكل مَنْ وَلِى القبط ومصر فهو فرعون، وكان فارسيًا من أهل اصطخر"[٧].

---

(١) التاريخ اليهودى العام ٣٥.

(٢) العرب واليهود فى التاريخ ٤٤٩، واللغة العبرية وآدابها ١٢، وظاهرة الإعراب ١٥.

(٣) الكتاب والتوراة ١٧١.

(٤) نفسه.

(٥) ١٤٠ ـ العرب واليهود فى التاريخ ٤٤٨.

(٦) العرب واليهود فى التاريخ ٤٤٨.

(٧) تفسر القرطبى ١ / ٣٨٣.

ومن المؤسف أنْ نجد أثر هذا الخلط فى الأنساب اليهوديَّة يفسد علينا حياتنا فى مجالين:

۞ فيما ينسب إلى رسول الله ﷺ من أحاديث كاذبة، رواية عن أكابر الصحابة.

۞ وفى مناهجنا الدراسية وكتب الجغرافية العربية قديمها وحديثها.

ففى مجال الحديث الشريف: فى أحاديث الرسول ﷺ نجد خلطًا، ونقائض، مخالفة صريحة لما عرف من خلق الرسول الكريم فى تكريم الإنسان، وسأكتفى بحديث واحد فقـط لبيان كذب ما نسب إليه ﷺ رواة على لسان كبار الصحابة:

✿ روى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: (وَلَدُ نُوحٍ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ فَوَلَدُ سَامٍ: الْعَرَبُ وَالْفُرسُ وَالرُّومُ وَالْخَيْرُ فِيهِمْ، وَوَلَدُ يَافَثَ: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَالْتُّرْكُ، وَالْصَّقَالِبَةُ، وَلاَ خَيْرَ فِيهِمْ، وَوَلَدُ حَامٍ: الْقُبْطُ، وَالْبَرْبَرُ، وَالْسُّودَانُ)[1].

✿ وروى الحديث مرَّة ثانية عن أبى هريرة ﷺ أيضا عن النبى ﷺ هكذا: (وَلَدُ نُوحٍ ثَلاَثَةٌ: سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافَثُ: فَوَلَدُ سَامٍ: الْعَرَبُ وَفَارِسُ وَالْخَيْرُ فِيهِمْ، وَوَلَدُ يَافَثَ: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَالْصَّقَالِبَةُ، وَلاَ خَيْرَ فِيهِمْ، وَوَلَدُ حَامٍ: الْقُبْطُ، وَالْتُّرْكُ، وَالْسَّوَادُ)[2].

✿ روى سعيد بن المسيَّب ﷺ عن النبى ﷺ قال: (وَلَدُ نُوحٍ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ: فَأَمَّا سَامٌ فأبو الْعَرَبِ وَفارِسَ وَالرُّومِ، وَأَهْلِ مِصْرٍ، وَأَهْلِ الشَّامِ وَأَمَّا يَافَثُ فأبو الْخَزَرِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَأَمَّا حَامٌ فَأَبُو هَذِهِ الْجِلْدَةِ الْسَّوْدَاءِ)[3].

✿ عن سمرة ين جندب ﷺ عن النبى ﷺ قال: (وَلَدُ نُوحٍ ثَلاَثَةٌ: فَسَامٌ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامٌ أَبُو الْحَبَشَةِ، وَيَافَثُ أَبُو الْرُّومِ)[4].

---

(١) تفسير القرطبى ١١ / ٥٦، وفتح البارى ١٣ / ١٠٧.

(٢) تالى تلخيص المتشابه ١ / ١١٤.

(٣) الكامل فى ضعفاء الرجال ٣ / ٢٥٠.

(٤) فيض القدير ٦ / ٣٦٤.

والخلط واضح بين الأحاديث؛ فالروم ينسبون مرَّة إلى يافث، وينسبون مرَّة ثانية إلى سام، ويسقطون تماما من النسب فى مرَّة ثالثة.

والترك ينسبون مرَّة إلى يافث، وينسبون مرَّة ثانية إلى حام، ويسقطون تماما من النسب فى مرَّة ثالثة.

وقد صرَّح بعض ثقات المحدِّثين بضعف رواة هذا الحديث[1] ونحن ننكر أنْ يصدر مثل هذا القول عن رسول الله ﷺ؛ فأدبه ودينه يمنعانه من أنْ يصف بعضا ممن خلق الله ﷻ بالخير، وأنْ يجرِّد صنفا آخر منهم من الخير، ونربأ به ﷺ عن أنْ يعيِّر بعضًا منهم بالجلدة السوداء، وفى أحاديثه الصحيحة إنكار صريح لمثل هذه الأقاويل الجارحة فى حقِّ الناس.

وفى مجال المناهج الدراسية: فى مناهجنا الدراسية، وأنْ نربِّى أبناءنا على هذا الكذب، والخطأ، فقد لفت نظرى فى كتاب " جغرافية العالم " المقرر على طلبة الصف التاسع من التعليم الأساسى فى الجماهيرية العربية الليبية ما جاء فيه عن سكان أفريقية، حيث نقرأ أنَّ فيها عددا من الأجناس منهم:

الأقزام فى الغابات الاستوائية، والبوشمن والهنتوت فى الجنوب الغربى، والزنوج فى جنوب الصحراء والقرن الأفريقى، والنيليون الحاميون فى أعالى حوض النيل وشرق أفريقية، والقوقازيون " الحاميون والساميون " فى شرق القارة وشمالها، ومنهم العرب.

ولا أعرف كيف اهتدى هذا المؤلف العبقرى إلى " الجنس النيلى الحامى " هذا، ولا كيف توصَّل إلى أنَّ القوقازيين " حاميون وساميون " فى الوقت نفسه ؟

وإذا رجعنا إلى كتب الجغرافية العربية القديمة نجد أثر الإسرائيليَّات واضحا جليًّا، فيما تضمَّنته من أساطير، وفى أسماء البلاد والمدن، حيث نلاحظ أنَّهم يحاولون تجذير الأنساب كما وردت فى الأسفار اليهودية، وكانت عادة القدماء أنَّ يطلقوا على

---

(١) راجع: فتح البارى، وفيض القدير

المدينة اسم بانيها، ومما يدُّل على كذب ما جاء فيها من أنساب أنَّ البانى قد يكون بينه وبين نوح جد، أو جدَّان، والمدينة حديثة العهد، ولا يصح هذا إلاَّ إذا عاش كل واحد منهم بضعة آلاف من السنين، وهذا محال، وقد توحى هذه الأسماء بأَنَّ اليهود هم أصحاب الأرض، وبناة نهضتها وحضارتها، وما نحن إلاَّ أجراء دخلاء؛ ويستدلُّون على ذلك بأنَّ الأسماء عبرية، وهذا كله كذب وباطل، والحقيقة أنَّها كلها أسماء كنعانيَّة وجدت من قبل أنْ يكـون لليهود وجود على مسرح الأحداث.

وهذه بعض النماذج:

إِرْمِينِيَة: سميت أرمينية بأرمينا بن لَنْطَا بن أوْمَر بن يافث بن نوح[١].

أريحا: سميت باسم أريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح[٢].

إيلياء: سمِّيت باسم إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أخو دمشق، وحمص، وأردن، وفلسطين[٣].

حبرون: اسم رجل ذكر فى جداول الأنساب لسبط يهوذا، وهو اسم عبرى معناه: عصبة، صحبة، رباط، اتحاد[٤].

حرَّان: سميت باسم هاران أخى سيِّدنا إبراهيم عليه السلام[٥].

الخزر: هى بلاد الترك، خلف باب الأبواب المعروف بالدَّرْبند، قريب من سد ذى القرنين، ويقولون: هى سمِّيت باسم الخزر بن يافث بن نوح عليه السلام !!![٦].

دمشـق: سميت باسم دماشق بن قانى بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[٧].

---

(١) معجم البلدان ١ / ١٦٠.

(٢) نفسه ١ / ١٦٥.

(٣) نفسه ١ / ٢٩٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدَّس ٦٠.

(٥) معجم البلدان ٢ / ٢٣٥.

(٦) نفسه ٢ / ٣٦٧.

(٧) معجم البلدان ٢ / ٤٦٣.

الشام: " سمِّيت باسم سام بن نـوح ﷺ لأنَّه أول من نزلها، فجعلت السين شينا لتغيُّر اللفظ الأعجمى[١].

كَرْمَان: سميت باسم كرمان بن فلوج بن لنطى بن يافث بن نوح ﷺ وقيل كرمان كرمان بن فارك بن سام بن نوح ﷺ[٢].

كنعان: يطلق هذا الاسم على القسم الجنوبى من بلاد الشرق المشتملة على فلسطين، كما يطلق على مدينة بابلية، وهى نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح ويطلق أيضا على موضع فى العراق، وآخر فى مقاطعة نيوهمشاير فى الولايات المتحدة[٣].

مصر: سمِّيت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح ﷺ[٤].

أرأيت إلى هذ "التلفيق والترقيع"، فقد تكفَّل اليهود باختراع أسماء ينسبون إليها مدننا العربية، وهى مسألة سهلة جدًّا؛ فالخواجة بيجو المصرى أوجد له شجرة نسب فى اليونان تضم نحوًا من عشرين اسمًا ولو سُئِل أبو لمعة المصرى عن أحدث المدن لاستطاع أنْ يجد لها نسبًا يهوديًّا، فيقول:

باريس: سمِّيت باسم بَارِسْ بنى حمدان بن الغال بن غاوى بن لامك بن سام بن نوح، ويقال: إنَّ " غاوى " هو الَّذى نقَّط بطاقيته.

لندن: سمِّيت باسم لندانو بن شَلُّومُ بن ناحور بن سام بن نوح.

واشنطن: سمِّيت باسم وشطان بن شيطن بن إبليس بن زبولون بن يافث ابن نوح.

القاهرة: سمِّيت باسم قاهرون بن منسَّى بن نفتالى بن حام بن نوح.

الأجناس البشرية فى المسيحيَّة

قال جوان كوماس: نجد فى العهد الجديد مسألة " أخوَّة بنى الإنسان فى العالم " وهى تتعارض تماما مع وجهة النظر الواردة فى العهد القديم ".

---

(١) نفسه ٣ / ٣١٢.

(٢) نفسه ٤ / ٤٥٤.

(٣) معجم البلدان ٤ / ٤٨٤، والعرب واليهود فى التاريخ ١٠٠.

(٤) معجم البلدان ٥ / ١٣٧.

والحقيقة أنَّ أكثر الأديان لا تبالى بالاختلافات الجسمانية الفرديَّة، وتعد الناس جميعًا أخوة متساوين فى نظر الله.

وكانت المسيحيَّة ـ وإنْ لم يشمل هذا كلَّ المسيحيين ـ تعارض التفرقة العنصريَّة منذ البُدَاءَة؛ فقد قال القديس بولس: لا يهودى ولا يونانى ولا عبد ولا حر، فإنَّهم جميعا واحد فى المسيح يسوع.

وقال أيضًا: لقد خلق الله من دم واحد جميع الأمم لكى يعيشوا فوق سطح الأرض.

وقد عارض البابا بيوس الحادى عشر النظريَّات العنصريَّة.

وفى عام ١٩٣٨م دمغ الفاتيكان كل الحركات العنصريَّة على أنَّها خروج على العقيدة المسيحيَّة روحا ومذهبا.

وأكثر من هذا فإنَّ دور الكنيسة والقدِّيسين فى إسداء البركات السماويَّة تشمل الأجناس البيضاء والصفراء والسوداء اللون "[1].

ومن المثير للغربة والعجب أنَّ العقليَّة المسيحيَّة ـ إنْ صحَّ التعبير ـ نشأت وتربَّت على تبنِّى المتناقضات الدينيَّة الكثيرة، والتعايش معها، وتصديقها دون أدنى تفكير، وقد قامت عقيدتهم أصلاً على هذا التناقض الصارخ؛ فما من إنسان عاقل ـ غير مسيحى ـ يمكنه أنْ يفهم كيف يكون الآب + الابن + الروح القدس = إله واحدًا؟ ومن هذه المتناقضات الدينيَّة عندهم أنَّهم نادوا بما أطلقوا عليه " أخوَّة بنى الإنسان فى العالم " وفى الوقت نفسه اتَّخذ أكثر مفكريهم وساستهم من التمييز الجنسى على أساس اللون قاعدة لتصنيف البشر إلى شعوب بيضاء راقية، وشعوب سوداء منحطَّـة، فبعد أنْ كتب دافيد هيوم David Hume (١٧١١ ـ ١٧٧٦ م) مقالته الشهيرة عن القدرة على الإدراك البشرى " Essai sur l´entendement humain "، قال: " إنَّنى أميل إلى الاعتقاد أنَّ الزنوج أحط بالطبيعة من العناصر البيضاء[2]، وكان إرنست رينان Ernest Renan (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ م) واحدا من الَّذين رفضوا

---

(١) خرافات عن الأجناس ٢.

(٢) خرافات عن الأجناس ٨، و١٤٤٥ , Nouveau Petit LAROUSSE .

التسليم بنظريَّة تساوى البشر[1]، وأنكر هيبوليت تين Hippolyte Taine (١٧١١ ـ ١٧٧٦م) أنْ يكون الإغريق والبرابرة والهندوس ورجال عصر النهضة ورجال القرن الثامن متَّحدى النشأة ومتساوين فى البشرية[2]، وفى منتصف القرن القرن التاسع عشر، ومع تزايد الدافع القومى فى أوربا عمقًا وقوَّة نتيجة لظهور كتاب "بحث حول عدم تساوى الأجناس البشرية والأعراق الرومانية L´ Essai sur l´inégalité des races humaines et de romans originaux " فى سنة ١٨٥٤م، للكونت جوزيف آرثر جوبينو comte Joseph - Arthur Gobineau (١٨١٦ ـ ١٨٨٢ م) وأكَّد فيه سُمُوَّ الجنس الآرى على بقيَّة الأجناس البشرة[3]، وفى سنة ١٩٠٠م نشر س. كارول C. Carrol كتابا بعنوان "الزنجى كحيوان أو فى صورة الإله " وفى فصل من هذا الكتاب عنوانه "أدلة من الكتاب المقدس وأدلَّة علمية على أنَّ الزنوج ليسوا أعضاء فى العائلة البشرية " قال كارول: إنَّ كل الأبحاث العلمية تثبت أنَّ طبع الزنجى من طبع القردة "[4].

وقد أكَّدت الدراسات الأنثروبولوجية أنَّه ليس هناك جنس آرى متفوِّق، فضلا عن أنَّه لا وجود لهذا الجنس أصلا من قبل، وفى الوقت نفسه لم يتفق العلماء على تعريف محدَّد لمفهوم "الجنس"، وهناك صعوبات كثيرة فى محاولة إيجاد "معيار" طبيعى ثابت ذى أهميَّة كافية لتحديد مفهوم "الجنس"[5].

---

(١) خرافات عن الأجناس ٨، و١٦٤١ , Nouveau Petit LAROUSSE .

(٢) خرافات عن الأجناس ٨، و١٧٠٨ , Nouveau Petit LAROUSSE .

(٣) منهج البحث فى التاريخ ١٣٤، و١٤٠٩ , Nouveau Petit LAROUSSE .

(٤) خرافات عن الأجناس ٣٤.

(٥) منهج البحث فى التاريخ ١٣٤، ويقول ول ديورانت: كان أوَّل ظهور لفظ الآريين عند " الحرى " إحدى قبائل أمَّة الميتانى، وكان هذا اللفظ اسما أطلقته على نفسها مجموعة الشعوب المقيمة قرب شواطئ بحر قزوين، أمَّا اليوم فإنَّ هذا اللفظ يطلق بنوع خاص على الميتانيين، والحثيين، والميديين، والفرس، والهنود الفدا ـ أى على الشعبة الشرقية من الشعوب الهندوأوربيَّة الَّتى عمَّرت شُعْبتها الغربية بلاد أوربا. قصة الحضارة ٢ / ٣٠١ (ح)

وكتب جوان كوماس فصلا كاملا عن " خرافة الجنس الآرى " وبيَّن الأساس اللغوى الَّذى ظهر به هذا المصطلح، واختلاف العلماء فى موطن الآريين، وصفاتهم، ولغاتهم وانتهى إلى أنَّه لم يثبت أبدًا وجود جنس من البشر اسمه " الجنس الآرى ". خرافات عن الأجناس ٦٠ وما بعدها.

وبالرغم من دعواهم "أخوَّة بنى الإنسان فى العالم" فإنَّ المسيحيِّين اتَّخذوا من أسفار اليهود كتابا دينيا مقدَّسًا لهم مع ما بين العقيدتين من تناقض صارخ؛ إذْ كيف يوِّفق المسيحيُّون بين مبدئهم هذا وبين العقيدة اليهودية الَّتى سيطرت عليها فكرة أنَّهم شعب الله المختار وفقا للميثاق الَّذى قطعه إلههم يهوه Johava مع سيِّدنا إبراهيم الخليل ﷺ ونسله إلى الأبد ـ فى زعمهم ـ وبمقتضى هذا الميثاق يكون يهوه اختص بعطفه ورعايته إبراهيم وذريَّته؛ لأنَّهم شعب مختار، تعلَّم من الله بطريقة مباشرة ومنحه الله بصيرة كاملة، وحِكْمَةً، ومعرفة تامَّة بجميع القوانين الطبيعيَّة وبالحقيقة الروحانيَّة؛ بل إنَّهم ليتمادون فى غيِّهم وضلالهم، فيزعمون أنَّ الله ﷻ تحدَّث إلى آدم ﷺ باللغة العبرية، وبذلك تصبح لغتهم بدورها هى "لغة الله المختارة"، وأمَّا بقيَّة شعوب العالم فى نظر اليهود فهم أنواع منحطَّة من البشر، تجهل شريعة الرب، ويطلقون عليهم لقب "الأميين" ازدراءً واحتقارًا[1]، ويؤكِّد جى راشيه Guy Rachet أنَّ يهوه Yahweh ديانة سينائيَّة مجهولة " Divinité obscure du Sinaï " نسبت إلى سيِّدنا موسى زورًا، فكيف أصبح هذا اليهوه إله إبراهيم والآباء وبينهم وبين موسى خمسة قرون ؟[2].

وقد صدَّق كثير من المغفَّلين أكاذيب اليهود هذه؛ فيزعمون أنَّ سيِّدنا شعيب ﷺ حمل معه من مصر عصا إلى أرض مدين، وانغرست العصا فى الأرض، ولم يستطع أقوى الرجال نَزْعَها من مكانها، ولمَّا رآها سيِّدنا موسى ﷺ وجد رأس العصا منقوشا عليه ثلاث كلمات بالعبرية، وفوق الكلمات نُقِشَ الاسم الأعظم، وقال: هذه العصا إحدى العجائب، فقد أعطيت آدم ﷺ عندما كان لا يزال فى جنَّة عدن، وأعطاها آدم أحد أبنائه، وظلت تنتقل من يد نبى إلى يد نبى آخر حتَّى حملها سيِّدنا يوسف ﷺ معه إلى مصر[3].

---

(١) محاضرات فى فلسفة التاريخ ١ / ٤٤، ومنهج البحث فى التاريخ ١٣٥.

(٢) انظر: ٣٥ " La Bible " mythe et réalités.، وفى كتاب " ما بين موسى وعزرا " أثبت المؤلف أنَّ يهوه إله مزوَّر، يرجع فى أصوله إلى إله وثنى فارسى، ولم يعبد يوما لا فى كنعان، ولا فى مدين، ولا أصل له فى عقيدة موسى أو غيره من الأنبياء، وإنَّما هو من اختراع عزرا ونحميا، وألصقوه زورًا بالديانة اليهودية. يراجع صفحة ٢٣٥ وما بعدها.

(٣) قصة الديانات ٣٠٦ ـ ٣١٠.

والقصة من السخف بحيث لا تحتاج إلى مجرِّد الوقوف عندها، وكأَّن الجنَّة الَّتى كان فيها سيِّدنا آدم ﷺ هى جنَّة عدن السماوية، وكأنَّ هذه العصا هى "صولجان " النبوَّة يتوارثها الأجيال نبيًّا بعد نبى، ثمَّ من أين حصل عليها يوسف ﷺ، وهو طفل صغير مشرِّد رماه إخوته فى الجب تخلصًا منه كما جاء فى القرآن الكريم، أو باعه إخوته للإسماعيليين الَّذين حملوه إلى مصر فى رواية اليهود ؟ وكيف لم ير أحد من إخوته أو من الإسماعيليين هذه العصا المعجزة فى يده ؟

وكيف يوِّفق المسيحيُّون بين مبدئهم القائل بـ "أخوَّة بنى الإنسان فى العالم" وبين العقيدة اليهودية الَّتى لا تكتفى بالتفريق بين البشر وتقسيمهم أجناسا سامية وأجناسا سافلة، بل تفرِّق بين أبناء الرجل الواحد والأم الواحدة فترفع من تشاء منهم، وتخفض من تريد؛ فأحيانا تفضِّل الأصغر على الأكبر، وأحيانا تفضِّل الأكبر على الأصغر، فنجد من أمثلة تفضيل الأصغر على الأكبر:

- إسحاق مفضَّل على إسماعيل، وهما ولدا سيِّدنا إبراهيم ﷺ.
- ويعقوب مفضَّل على عيسو، وهما ولدا سيِّدنا إسحاق ﷺ.
- وراحيل مفضَّلة على لَيْئة، وهما ابنتا لابان خال يعقوب ﷺ.
- والتفرقة موجودة فى أبناء نوح ﷺ فسام الأكبر مفضل على حام الأصغر.

والسؤال: لماذا فُضِّل الأكبر هنا على الأصغر خلافا للمبدأ المعمول به عندهم ؟

والإجابة: لأنَّ جدَّهم ـ كما يزعمون ـ يجب أنْ يكون له حق البكورة، وأنْ يكون مقدَّما على غيره، يأمرهم فيطيعون.

وكيف نصدِّقهم وهم يرفعون شعار "أخوَّة بنى الإنسان فى العالم " فى الوقت الَّذى يمارسون فيه التفرقة العنصرية فى أبشع صورها فى كل من أمريكا وجنوب أفريقية، بل " كان الرهبان، والأساقفة، وغيرهم من رجال الدين يقتنون الأقنان اقتناءهم الأرض سواء بسواء، وكما كان يفعل ملاك الأرض العلمانيُّون كانوا هم أيضا يتصرَّفون فى العبيد بالبيع والشراء، أو يتبادلونهم، أو يقتسمونهم فيما بينهم،

وكانوا يقتسمون كذلك نسل من شاء حظُّه العاثر أنْ يصبح تابعا لأحد السَّادة اللوردات،بينما غدت زوجه هى الأخرى أمة لسيِّد آخر"[1]، وقد استخدم الأوربيُّون المسيحيُّون هذه التفرقة العنصريَّة فى القرن السادس عشر لتبرير استرقاق زنوج أفريقية، والإنديز Indies، والهنود الحمر استنادًا للأسفار اليهوديَّة الَّتى يسمُّونها كذبًا " الكتاب المقدس "، يقول المؤرخ الشهير توينبى .Toynbee A: " إنَّ الكتاب المقدَّس عند الأوربيين يماثل نفسه بصورة حتميَّة مع إسرائيل فى طاعة يهوه، وإنجاز عمل الله بامتلاك الأرض الموعودة بينما لا يماثل الشعوب غير الأوربيَّة والكنعانيين الَّذين كُتِبَ عليهم بمقتضى القرار الإلهى التدمير أو الاستعباد كحطَّابى خشب، أو ساحبى مياه... وتظهر نظريَّة التفوَّق العنصرى واضحة ـ على سبيل المثال ـ فى عبارة المؤرخ الألمانى هردر Herder (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣) القائلة: سوف يظلُّ الرجال الصينيُّون دائما صينيِّين Chinamen will always remain chinamen "[2].

كما تبنَّى المسيحيِّون أسوأ ما أنتجته العقلية اليهودية فى مسألة الأجناس بتحويل العقيدة الدينية إلى "إثنية عرقية"؛ فمن يعتنق اليهودية أيًّا كان جنسه يصبح إسرائيليا ولو كان زنجيا، أو مغوليا، وأقرب الأمثلة إلينا الآن "الفلاشاه الأثيوبيون"، وقد ذكر الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى الجزء الثانى من موسوعته عن "اليهود والصهيونية" أكثر من أربعين صنفا من اليهود لا يمكن نسبتهم إلى سيِّدنا يعقوب عليه السلام الَّذى يلقِّبونه بإسرائيل علما بأنَّنا نؤكد أنَّ اليهود لا يمتُّون لسيِّدنا يعقوب بصلة أصلاً، وفى الوقت نفسه لا نجد مبررا لأنْ يغيِّر الإنسان اسمه؛ فليس يعقوب هو إسرائيل، وروايتهم فى هذه التسمية مرفوضة.

وهو الخطأ نفسه الَّذى وقع فيه المسيحيون بتحويلهم عقيدتهم إلى إثنية عرقية؛ فهم يعتقدون أنَّهم ينتسبون إلى إسرائيل بحكم أنَّهم أتباع المسيح عليه السلام؛ فقد جاء فى أول رسالة " إلى العبرانيين ": (إِنَّ اللهَ، فِى الأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ، كَلَّمَ آبَاءَنَا بِلِسَانِ الأَنْبِيَاءِ

---

(١) عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ١١٧.

(٢) منهج البحث فى التاريخ ١٣٥.

الَّذِينَ نَقَلُوا إِعْلاَنَاتٍ جُزْئِيَّةً بِطُرُقٍ عَدِيدَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ. ٢ أَمَّا الآنَ، فِى هَذَا الزَّمَنِ الأَخِيرِ، فَقَدْ كَلَّمَنَا بِالابْنِ، الَّذِى جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِهِ قَدْ خَلَقَ الْكَوْنَ كُلَّهُ!) ونص هذه العبارة فى الترجمة الكاثوليكية: (إِنَّ اللهَ بَعْدَمَا كَلَّمَ الْآبَاءَ قَدِيمًا بِالْأَنْبِيَاءِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً بِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ كَلَّمَنَا فِى آخِرِ الْأَيَّامِ هَذِهِ بِابْنٍ جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَىْءٍ، وَبِهِ أَنْشَأَ الْعَالَمِينَ)[1].

يقول الشارح: الآباء: أجداد الشعب الإسرائيلى أى الأجيال السابقة، فالمسيحيُّون حتَّى الَّذين من أصل وثنى يشعرون بأنَّهم ينتمون إلى شعب إسرائيل ".

هل أدركت أيَّها القارئ الكريم لعبة الأجناس اليهودية المسيحيَّة؛ أنت الآن لم تعد فى حاجة إلى إنفاق المال، أو تضييع الوقت فى شراء صبغة الشعر، أو عدسات العيون اللاصقة الملونة، كل تلك الميزات تأتيك مجَّانا؛ فإذا كنت مصريًّا مسلما فأنت حاميُّ الأصل، أسود الوجه والعينين، غليظ الشفتين، مفلفل الشعر، فإذا أردت أنْ تغيِّر أصلك وهيئتك فما عليك إلاَّ أنْ تعتنق اليهوديَّة أو النصرانيَّة فتُمْسِى سامىَّ الأصل، قمحىَّ اللون، أحور العينين، سبط الشعر، وإنْ خطر ببالك التخلِّى عن العقيدة الدينيَّة وتلحد بالواحد الأحد تبيت وأنت يافثىُّ الأصل، أبيض الوجه، أشقر الشعر، أزرق العينين، واحذر أنْ تعود إلى دينك أو ترجع إلى إسلامك وإلاَّ اسودَّ وجهك من جديد، وشاهت صورتك، وفقدت جمالك، ويا لها من لعبة ظريفة، جرِّب هذه الوصفة السحرية بنفسك.

لم يفطن المسيحيُّون إلى المأزق الخطر الَّذى أوقعهم اليهود فيه، أو ارتَضَوْه هم لأنفسهم باختيارهم؛ فإنْ كانوا قد اختاروا لأنفسهم الجنسية الإسرائيلية فإنَّ اليهـود لا يقبلون بانتسابهم إليهم، ومن المعروف ما جاء فى كتابى " بروتوكولات حكماء صهيون، والتلمود " من أنَّ اليهود يعتبرون المسلمين والمسيحيين حيوانات خلقها إلههم لهم على هذه الهيئة البشرية ليكون لهم شرف خدمة اليهود؛ فاليهود لم يسقطوا عنهم الجنسية العرقية فقط، بل جرَّدوهم من صفاتهم الإنسانية أيضا.

---

(١) إلى العبرانيين ١ : ١، وراجع طبعة الرهبانية اليسوعية ٦٩٤.

الأجناس البشرية فى الإسلام

ليس فى الإسلام "أجناس" وإنَّما جميع الناس جنس واحد، مخلوقون من نفس واحدة، جعل الله تلك النفس الواحدة أبا للبشر، ومن تلك النفس الواحدة خلق الله لها امرأة جعلها أمًّا للبشر، ومن زواج النفس الواحدة بمَنِ انفصل منها انحدرت جميع الشعوب والقبائل رجالا ونساء، تربطهم صلة رحم واحدة، وإن انتشروا فى كلِّ بقاع الأرض ليعمروها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

وإذا كان الناس من أصل واحد؛ فهم متساوون فى الخلقة والهيْئة ولا تفاضل بينهم إلاَّ بالتقوى، روى ابن عمر ﷺ قال: (خَطَبَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيبَةَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: مُؤْمِنٌ، تَقِيٌّ كَرِيمٌ. وَفَاجِرٌ، شَقِيٌّ، مَهِينٌ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ ٱللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ)[2]، ثمَّ شاءت إرادة الله أنْ تتنوَّع الأشكال، وتتمايز الملامح حتَّى يكون لكل فرد صورة تدلُّ عليه، وتشير إليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

وما اختلاف ألوان البشر وتعدد لغاتهم، وافتراق أشكالهم إلاَّ آية من آيات قدرة الله تعالى، وحكمته البالغة فى خلق السموات والأرض، وخلق الناس، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء ٤: ١.

(٢) شعب الإيمان ٤: ٢٨٦

(٣) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

(٤) سورة الروم ٣٠: ٢٢.

ويبيِّن ابن كثير مظاهر قدرة الله تعالى فى اختلاف اللغات والألوان قال: (وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ) يعنى اللغات: فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر، وهؤلاء كُرْج، وهؤلاء روم، وهؤلاء فرنج، وهؤلاء بربر وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء أكـراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمـه إلاَّ الله من اختلاف لغات بنى آدم، واختلاف ألوانهم، وهى خُلاَهُم؛ فجميع أهل الأرض، بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدَّان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بدَّ أنْ يفارقه بشىْء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهرًا كان أو خفيًّا يظهر عند التأمُّل، كل وجه منهم أسلوب بذاته، وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة فى صفة من جمال أو قبح، لا بُدَّ من فارق بين كلِّ واحد منهم وبين الآخر[1].

وفرق كبير بين التفسير الإسلامى لاختلاف لغات الناس وأشكالهم وبين تفسير اليهود الَّذين رأوا فى سلوك الشعب الواحد تطاولاً على الذَّات الإلهيَّة، ومنافسة لها فى الابتكار والخلق، فرغب إلههم فى فلِّ شوكة ذلك الشعب، وإضعاف مَلَكَته، وقطع أسباب التفاهم والتواصل بين أفراده؛ فبلبل ألسنتهم، ومزَّق شملهم: "١ وَكَانَ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعاً يَتَكَلَّمُونَ أَوَّلاً بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَلُغَةٍ وَاحِدَةٍ. ٢ وَإِذِ ارْتَحَلُوا شَرْقاً وَجَدُوا سَهْلاً فِى أَرْضِ شِنْعَارَ فَاسْتَوْطَنُوا هُنَاكَ. ٣ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَيَّا نَصْنَعُ طُوباً مَشْوِيّاً أَحْسَنَ شَيٍّ». فَاسْتَبْدَلُوا الْحِجَارَةَ بِالطُّوبِ، وَالطِّينَ بِالزِّفْتِ. ٤ ثُمَّ قَالُوا: «هَيَّا نُشَيِّدْ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجاً يَبْلُغُ رَأْسُهُ السَّمَاءَ، فَنُخَلِّدَ لَنَا اسْماً لِئَلاَّ نَتَشَتَّتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كُلِّهَا». ٥ وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِى بِنَائِهِمَا. ٦ فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ كَانُوا، كَشَعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطِقُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ عَمِلُوا هَذَا مُنْذُ أَوَّلِ الأَمْرِ، فَلَنْ يَمْتَنِعَ إِذاً عَلَيْهِمْ أَى شَيْءٍ عَزَمُوا عَلَى فِعْلِهِ. ٧ هَيَّا نَنْزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلْبِلْ لِسَانَهُمْ، حَتَّى لاَ يَفْهَمَ بَعْضُهُمْ كَلاَمَ بَعْضٍ».٨ وَهَكَذَا شَتَّتَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَكَفُّوا عَنْ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ، ٩

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٥١.

لِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ بَلْبَلَ لِسَانَ أَهْلِ كُلِّ الأَرْضِ، وَبِالتَّالِي شَتَّتَهُمْ مِنْ هُنَاكَ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ كُلِّهَا"[1].

فالتفسير الإسلامى دعوة صريحة إلى التأمُّل فى قدرة الله تعالى على الخلق، وإلى ترغيب الناس فى التواصل والتفاهم والتعاون فى كلِّ شئون الحياة، وإلى حثِّهم على تعلُّم لغات الآخرين، وقد كان رسول الله ﷺ يخاطب الوفود بلغاتهم، ويوجِّه أصحابه إلى تعلُّم اللغات المختلفة، ويدعو لهم، وجاء فى الأثر المقولة الشهيرة " من تعلَّم لغة قوم أمن مكرهم "، فالاختلاف من وجهة النظر الإسلامى قوَّة وإيجابيَّة وحثٌّ على البحث والتأمل والتفكُّر فى قدرة الخالق العظيم.

وأمَّا التفسير اليهودى فهو دعوة صريحة إلى اعتزال الناس، والبعد عنهم ومقاطعتهم، فما بين الناس من اختلاف اللغات، وافتراق الأماكن هو من تقدير الإله ومشيئته، ولا سبيل إلى التغلب عليه وتجاوزه؛ فالاختلاف من وجهة النظر اليهودية إضعاف وإفساد وسلبية، ومن يَسْعَ إلى توحيد الناس، والتفاهم معهم يكن عاصيا لأوامر الله مخالفا لإرادته، وهو تفسير مناقض تماما للتفسير الإسلامى.

---

(١) تكوين ١١: ١ ـ ٩.